شهرزاد

فتاة
لنـــدن

العدد ٢٠ من السنة الثامنة (٣٨٥) ٢٧ / ١ / ١٩٣٧

FONDATEUR :
Feu Mohamed Hassan Nayel El-Marsafi

DIRECTEUR :
Mohamed Anwar El-Marsafi
Réd. en chef : TEWFIK HABIB

DIRECTION :
Rue Ataba El Khadra No. 5
Tél. 43803. — B.P. 1689

شهرزاد

لمؤسسها المرحوم
محمد حسن نايل المرصفي

صاحب امتيازها ومديرها
محمد أنور المرصفي
رئيس التحرير
توفيق حبيب

الادارة: ميدان العتبة الخضراء رقم ٥
ص. ب ١٦٨٩ — تليفون ٤٣٨٠٣

(جميع الرسائل الخاصة بالتحرير وبالأدارة ترسل باسم محمد أنور المرصفي)

فتاة لندن

رواية طريفة من خير ما أنتجته القرائح

تثير عواطفك في كل صفحة منها

وتنسيك ما حولك حتى تنتهي فصولها

الفصل الاول

كانت الليلة من ليالى ابريل البديعة ، ولم تكن الساعة قد تجاوزت الثامنة بعد فاعتزم روبرت باسيلدون أن يذهب الى الموعد ماشياً وخرج يسير على رسله من شارع ايتون ؛ حيث الغرفة التى ينزلها من سنوات ؛ ووجهته حى مايفير

ولما مر بحدائق هيدبارك رفع رأسه الى الساعة الكبيرة فوجد ذراعيها تشيران الى الثامنة غير انه هز كتفيه وقال لنفسه : ليست مضيفتى من الذين يحرصون على الزمن ولو انى بلغت دارها فى التاسعة بدل الثامنة لما غضبت

ولم يكن فى حسبان روبرت باسيلدون انه سيتناول العشاء فى صرح الليدى ليرنجتون لأنه ابتاع منذ الصباح مقعدا فى ملهى كوبن ليشنف اسماعه بالموسيقى التى تعزف هناك فى كل ليلة ، غير انه حدث قبل أن يغادر مكتبه أن نادته الليدى ليرنجتون فى التليفون وطلبت اليه فى الحاح أن يتعشى معها لتطلعه وهما على الطعام على انباء يهمه جدا أن يعرفها فلم يسعه سوى اجابة الدعوة وسوى ان يرسل تذكرة الملهى الى شقيقته المغرمة بالموسيقى

وسأل روبرت باسيلدون نفسه مراراً وهو فى طريقه الى صرح الليدى عن معنى تلك الدعوة والانباء التى يهمه جدا أن يعرفها على حد تعبير السيدة ، نعم ان الاخيرة كثيرا مادعته الى صرحها ومائدتها غير انها كانت تطلعه من فورها على سبب الدعوة ولم يكن السبب يتعدى فى معظم الاوقات الحاجة الى النقود إلا انها لم تشر اليوم الى الازمات المالية التى تعانيها دائما

وحين بلغ الصرح سأل رئيس الخدم عن عدد المدعوين واسمائهم فرد عليه بأن مولاته لم تدع الليلة الى مائدتها احدا سواه فاشتد عجب الزائر ودخل قاعة الاستقبال مفكرا

ودخل الى نافذة تشرف على حدائق بارك وراح يتأمل الليل الساجى المشرق ثم تراجع ووقف أمام مرآة طويلة

انه لم يعد شابا ، غير انه لم يزل فاتن الطلعة قوى البنية عريض المنكبين اسود الشعر

وابتسم ووضع يديه وراء ظهره وطفق يقبل ويدبر فى الغرفة واخيرا دخلت ربة الصرح فى الوقت الذى كانت فيه الساعة الصغيرة الموضوعة على رف المدفأة تعلن التاسعة

وكانت صوفى ليرنجتون امرأة ذات قامة طويلة ورأس بديع وشعر ذهبى اللون مقصوص ، وكانت عليها مسحة من جمال تنبىء بما تمتعت به السيدة فى شرخ شبابها من حسن فائق

ودخلت وعليها ثوب ثمين وفى اصابعها وحول عنقها وفى اذنيها وحول معصميها ثروة كبيرة من الحلى

وقالت وهى تمد اليه يدها :

— لقد ابطأت كثيرا يا روبرت ؛ ألم يكن موعدنا الثامنة !

فرنا الى الساعة وقال :

— نعم ولكنك تأخرت عن الموعد أكثر مني ، انى هنا منذ نصف ساعة أو أكثر ، ولكن دعينا من هذا الحديث واذكرى مايزعجك الليلة !

— سأتكلم بعد العشاء

وجلسا بعد ربع ساعة إلى طعام شهى متعدد الالوان ، وكانت صوفى مشهورة بمائدتها حتى فى أوقات ضيقها . وجرى الحديث حول مواضيع مختلفة ، ولما رجعا الى قاعة الاستقبال وقدمت اليهما القهوه أشعل روبرت سيجاره ثم قال مبتسما :

— ما هى تلك الأنباء الهامة ؟

— هل تعلم ماذا صنع هنرى ؟

— اعلم انه توفى منذ أيام وانه خلف لك ثروه تغنيك عن الاقتراض

— انه ادخر من الأموال فى السنوات الاخيره أكثر مما كنت اتصور

— لعلك تشيرين الى السنوات التى انجز فيها المشروعات الهامة التى عهد بها اليه المهراجا الهندى

— نعم ، وكان على وفرة ماله ، يأبى أن يزيد فى المبلغ الذى يجريه على فى كل عام ؛ وهذه دناءة وخسة وقد قلت ذلك للمحجلين

— دعى الموتى فى قبورهم !

— ولكنه ما انصفنى فى حياته

— حسبك ان انصفك بعد وفاته

— انصفنى لا وربى ، انه ماعرف الانصاف قط

— هل حرمك من ميراثه ؟

— كلا

— اذن علام البكاء وصب اللعنات ؟

— لم يترك لى سوى مبلغ صغير وسوى شرط قاسى

— كان زوجك رجلا غريب الاطوار فلابدع ان اشترط شروطا عجيبة ، ماذا اشترط ؟

— آه من الشقى !

— افصحى ولاتشتمي الموتى !!

— لو نزلت على شرطه لوجب على أن أغير نظام حياتى الذى أحبه ، آه من الشقى ؛ اليوم ثبت لدى انى اخطأت خطأ فاحشا فى زواجى منه !

ثم تنهدت وقالت :

— لعمرى لا أدرى لماذا اقترنت به

فابتسم روبرت ورد عليها بقوله .

— تزوجت منه طمعاً فى ماله وشهرته ولانه سرك أن تتغلبي على قلب رجل عرف بأنه يكره النساء

يزدرويهن ، أليس كذلك ؟

فوقفت وقالت .

— نعم

ثم جعلت تخطر فى الغرفة جيئة وذهوبا كما يفعل المهموم الحائر ، وكانت مشيتها بديعة وطالما خلبت بها الالباب ولكن الرجل الذى جلس يرمقها وهى مقبلة مدبرة لم ير فى مشيتها مايصبى القلوب وليس كبيرا على امرأة مارست الرقص على خشبات الملاهى فى صدر أيامها أن تكون رشيقة الحركات لينة الاعطاف وذات قوام مياس

أجل اعتلت صوفى خشبات المراقص ولما تبلغ الثامنة عشرة من عمرها فاستهوت النفوس بوشاقتها كما سبت القلوب بجمالها ودلها ولم يمر طويل من الزمن حتى بزغت كوكبا متألقا فى سيما ملاهى لندن فزاع صيتها واشتهر أمرها وطارت احلام الشباب والشيوخ حولها

وهام بها شاب يدعى أوين تورنس ، وكانت تعتقد أنه رب مال وفير فتزوجت منه وقبل أن تعرف ان ثروته قليلة لقى حتفه فى الحرب العظمى فلم تذرف عليه دمعة واحدة

وكان أوين تورنس ابن شقيقة روبرت باسليدون . ولم يكن الاخير يجهل الحياة التى تحياها الراقصة الشهيرة فحاول ان يثنى ابن اخته الحدث ، عن الزواج من فتاة كل ميزاتها جمال وجهها ونبوغها فى فن الرقص غير ان أوين ركب رأسها وأبي الا أن يتزوج منها وقد فعل وأغضب أهله ومنهم روبرت باسيلدون

وكان من المعقول ان تبتعد صوفى استرادى عن أهل الشاب الذى خدعته ولا سيما بعد ان قتل ذلك الشاب غير أنها لم تفعل شيئا من ذلك ، راحت تطرق ، من وقت لآخر . باب روبرت وتتوسل اليه ان يعطف قلوب آل تورنس عليها ليزيدوا فى المرتب الذى افردوه لها . ومن ثم نشأت تلك الصداقة بين صوفى وبين روبرت

وصوفى هى التى اطلقت على تلك المعرفة صداقة وان كانت تعلم ان الرجل لا يعجبه تصرفاتها ولا سيما تبذيرها الفاحش . وظن روبرت كما ظن كل الذين يعرفون صوفى استرادى أو مدام تورنس بمعنى آخر . ان زواجها من السير هنرى ليرنجتون المهندس الطائر الصيت سيضع حدا لاسرافها ولا سيما والزوج الجديد رجل فى منتصف العمر ويعرف قيمة المال غير ان المرأة خيبت ظنون الجميع بامعانها فى التبذير

واشتد لمعان نجم صوفى بعد أن صارت الليدى ليرنجتون وبعد أن تهافتت الصحف والمجلات على التقاط صورتها وتدوين اخبارها وآراءها فى الازياء والمجتمعات والحفلات وأهل الطبقة الراقية

ثم عهد الى السير ليرنجتون بانشاء اعمال هندسية فى الهند فسافر الى الشرق وخلف زوجته فى مدينة لندن المشرقة المعربدة

وطابت الحياة لليدى ليرنجتون وجعلت تتنقل فى أجواء لندن كما تتنقل الفراشة فى الروض الانيق . وما فكرت مرة فى الحرية التى تتمتع بها والاموال التى تبعثرها كل مبعثر إلا وساءلت نفسها بقولها . ترى لماذا اقترن بى السير ليرنجتون وأى شيء أعجبه منى

نعم هى ذات جمال وفتنة ولكن من المحال ان تزعم ان رجلا كاملا مثل السير ليرنجتون استهواه ذلك الجمال وتلك الفتنة . وكان اذا اعوزها الجواب الشافى المقنع تهز كتفيها وتقول لتريح نفسها : لعله عشقنى

وأبت عليه كبرياؤه ان يعلن هواه ، أليس هو رجل غريب الأطوار كثير الصمت طويل التفكير

والواقع ان الزوج ما أخبر زوجته ولو مره واحدة بأنه يحبها وكثيرا ما ظنت صوفى انه يحتقرها ولا

يهمه أمرها . وسيان عند صوفى ان يحبها زوجها أو يكرهها اذ كل ما كانت تريده أمـوال الزوج لا غرامه وعطفه وحنانه

وما ركب المهندس القدير البحر الى الشرق حتى فتحت الليدى ابواب الصرح امام أصدقائها وصديقاتها وكل الذين يطمعون فى وجبة دسمة وكؤوس مترعة بالخمر المعتقـة ، وكثيرا ما دعت الليـدى روبرت الى حفلاتها غير انه كان يعتذر فى اغلب الاوقات زهدا منه فى التعريف الى أناس لا يرتاح اليهم

هذا ما كان روبرت والليدى يفكر ان فيه وأولهما يرمقها وهى تخطر في قاعه الاستقبال جيئه وذهوبا ، وأخيرا قال الرجل :

— كل ما عرفته حتى الآن ان السير ايرنجتون ترك ثروة طائله وشرطا جائرا ، ثم ماذا ياصوفى ؟

فوقفت الليدى أمامه وأجابته بقولها

— اثبت لى فى وصيته مرتبا حسنا اقبضه فى كل عام

— وما شرطه ؟

— ان شرطه لا ينصب على المرتب بل على مبلغ كبير آخر

— لم أفهم بعد

— اشترط الشقى أن أوافق على أن تعايشنى هنا ابنته فان قبلت فلي مرتب كبير آخر ، آه اراك تنظر الى بدهش ، وأنا نفسى لم أكن أعلم أن له ابنة وأن كنت اعرف انه تزوج من قبـل ، أجـل قال لى مرة انه زوج من قبل ولم يزد وعبثا حاولت أن أعرف شيئا عن زوجته السابقة ، وكان كما قلت لك طويل الصمت قليل الكلام حتى أنى لا أستطيع أن احصى المرات التى كلمنى فيها ، وأكبر ظنى ان قسوته قتلت المرأة المسكينه

- ما كان السير ايرنجتون رجلا قاسيا فلا تظلميه ولا تنكرى محاسنه . واعترفى بانه كان رجلا كامـلا نشيطا ذكيا ولا تعيبه سوى غرابة اطواره وأين الانسان الكامل ، ولعـل غرابة اطـواره هى التى زينت له الزواج منك فان كان ذلك كذلك فانت مدينة لعيبه بما آل اليك أخيرا من ثروته ، هذه هى الحقيقـة فلا تمارى فيها ؟

ففكرت برهة وقالت

— صدقت فى قولك انه لم يكن رجلا قاسيا ، وانى لم ازل اذكر كيف تلقانى فى مكتبه يوم تعرفت اليه كانت الصحف قد نشرت نبأ عودته من بلاد فارس بثروة هائلة فكتبت اليه رسالة رقيقة قلت فيها انى فى حاجة الى مائة جنيه وانى طامعة فى كرمه وطيبة قلبه فاستدعانى واحتفى بى وقدم الى الف جنيه مع انه لا يعرفنى ولما هممت بأن أشكره هز رأسه واشار الى الباب فخرجت وأنا اعجب من شذوذه ، وقابلته عرضا بعد ايامه ...

فقال روبرت مقاطعا .

— فغزوت قلبه ثم تمكنت من الزواج منه

— لا أعلم هل غزوت قلبـه ام لا، اعرف انى اقترنت به ، ولكن الشقى افسـد اخيرا كل شىء بتركه

الشرط الغريب الجائر

– وابن تلك الفتاة ؟

– يقول مسجلو هنرى انها تقيم الآن بالريف ، والحقيقة ستتمتع بمعظم ما خلفه أبوها

ت ذلك وأنشأت ترمى بعلها المتوفى بكل نقيصة وتذكر ما سمعته من المسجلين هذا وروبرت يصغى

وأخيرا قال ؛

– لا أرى ما يدعو الى كل هذا السخط ، وبعد فلماذا تحملين على فتاة لا تعرفينها ، تقولين أن المسجلين

ك بأنها فى الثامنة عشرة من عمرها وأنها نشأت فى حجر خادمة عجوز فى احدى قرى كينت ، وأنها

ف بعد نبأ الثروة التى سقطت عليها بغتة فهل فى ذلك ما يقض مضجعك ؟

م قال بعد برهة !

– لاشك فى أن أباها كان يحبها حبا عظيما

هزت الارمل الحسناء كتفها وقالت :

– ان قلب هنرى ماعرف عاطفة الحب قط ، ولا مرية فى انه ما أحب كريمته فقد ذكر المسجلون أنه

ها منذ كانت طفلة

ودخل رئيس الخدم يقول

– مولاتى ، ان المستر هيرست بالباب وهو يسأل عما اذا كنت ستنزلين بعد دقيقة أو دقيقتين

احمر وجه الليدى وقالت بغضب ؛

– قل للمستر هيرست أنى مشغولة الآن بأمر هام ، وأنى أستطيع أن أقابله بعد نصف ساعة

ولما أحنى رئيس الخدم رأسه وخرج ... قال روبرت

– ان المسألة بسيطة جدا وليس فيها ما يزعج ويحير ، وأنت رابحة فى كلتا الحالتين

– وماذا سأربح

– المبلغ الكبير الذى ستقبضينه فى كل عام

– هذا اذا رفضت أن اعايش تلك الفتاة

– نعم

– ولكن لا أقنع بذلك المبلغ

– اذن انزلى على شرط زوجك

– أنى أكره أن أعايش أية فتاة

– حقا أنى لا أفهمك

– لقد استقر رأيى على أن أنزل على الشرط الجائر : والذى يحير نى الآن هو لماذا فرض الشقي هنرى ذلك الشرط

– ربما جال فى خاطره انك سوف تحبين ابنته وتعطفين عليها

– ان لها أهلا ولا ريب ، وهم أولى بها منى فلماذا لم يعهد بها اليهم ؟ أكبر ظنى أن الشيطان هنرى يروم

أن يقصد على عيشى ويجعلنى أتعذب بعد وفاته

— وهل تظنين أن تلك الطفلة القروية ستعذبك

— لا أدرى ؛ ولـكن لماذا اشترط الشيطان هنرى ذلك الشرط. لقد فكرت طويلا ولـكن بدون جد

— أنت تتعبين نفسك بلا مبرر ؛ السبيل واضح . أما أن تقنعى بمرتبك السنوى وأما أن تعايشى ال

— قد أشقى فى معايشتها

— اذن أقنعى بما تركه لك

— ما دعوتك ياروبرت لتغيظنى

— حاشا لله أن أغيظك ؛ أتريدنها نصيحة ثمينة ؟

— تكلم أيها الناصح الشفوق

— لا تقبلى شرط زوجك

— واترك معظم ثروته لتلك الطفلة البلهاء ، لا وربى ، أن صوفى لأعقل مما تظن وأبعد نظرا مما

لا أريد نصيحتك يا سيدى العزيز

فابتسم ابتسامة تدل على تهكم وقال .

— قد يقدم اليك صديقك هيرست نصيحة أثمن من نصيحتى وضحك وقال ،

— انى لأعجب من تعلق الشاب هيرست بك ، صوفى ان ثوب الرياء يشف دائما عما تحته

— لم أفهم

— سيعرف هيرست يوما حقيقة المرأة التى هام بها حبا

— وما يحدث يومئذ ؟

— يحدث أنه يلعنك ويفر منك

قال ذلك ووقف ثم قال

— هل أستطيع أن أقدم اليك خدمة فى صدد الوصية ؟

— أشكرك ، وما دعوتك الا لاطلعك على همومى الجديدة

— لا هموم هناك ولا إشجان وانما هو الطمع والجشع

— لا تـكن فظا

ولما مد اليها يده صافحته وقالت.

— ان الوعورة التى فى خلقك مصدرها جودك ووقوفك كالتمثال فى عالم كل شئ فيـه يسير و

تعرف الى الناس الظرفاء وأغش المحافل والملاعب فترق خاشيتك وتلين طباعك ؛ لمـاذا لاتزورنى دا

أصدقائى ظرفاء فاختلط بهم وأنهج منهاجهم فى الحياة ؛ وقد أحتاج اليك قريبا ياعزيزى روبرت ؛

اليك يوم تدخل تلك الفتاة الغريبة بيتى ؛ ومن يدرى ماذا سيحدث لى بعد قدومها ، ان نفسى تحد

ستحضر والعواصف فى أثرها

فابتسم روبرت وقال

— سأفكر الآن فى نصائحك الثمينة وحكمك الغوالى

— قال ذلك وضحك فسألته بقولها .

— لماذا تضحك

— ضحكت حين فكرت فى الحرب القادمة التى سيفلتها من عقالها قدوم ابنة زوجك

— كفى ، كفى ، طاب مساؤك !

— ومساؤك ياصوفى !

— ولما خرج الى الشارع رأى سيارة فارهة واقفة بباب المسرح كما شاهد الشاب هيرست يقبل ويدير فى الظلام فابتسم وسار اليه وقال وهو يصافحه .

— أنت هنا ياهيرست ، سمعت أنك ستسافر الى جنوبى أمريكا

فاحمر وجه الشاب الغنى المتيم وقال :

— قد أسافر فى الخريف

— إن فى السفر فوائد عديدة فعليك به

— انى أحب السياحة وأتمنى أن أرى الشرق الاقصى غير أن أمى تكره أن أتغرب

— وإلى أين أنتما ذاهبان الليلة — الى مرقص ؟

فاحمر وجه الشاب كما تحمر وجوه العذارى الخفرات وأجاب بقوله :

— نعم وقد تكرمت الليدى ليرنجتون بالقاء دروس فى الرقص على ، وانى لشاكر لها فضلها .

ثم قال بعد برهة :

— أخشى ألا أحذق الرقص فتغضب على وتقاطعنى

— لاتخف ، إن الليدى سيدة ذات حلم وكرم

قال ذلك وأحنى رأسه للشاب ثم سار على رسله فى الشارع المقفر وبعد برهة وثب خاطره نحو شرط السير هنرى فقال : عجباً ، إن السير لايجهل سيرة زوجته فكيف يرغب فى أن تقيم ابنته فى بيتها ، وأية ابنة ، فتاة صغيرة ساذجة لم تعرف إلا الريف الطاهر النقى وإلا القرويين الشرفاء ، حقا إن السير هنرى غريب الاطوار وأشعل سيجارة ثم قال . ستكون الليدى للفتاة قدوة سيئة وأكبر ظنى أنها ستجنى عليها وتمزق أموالها وقد ترميها بدائها ، داء القمار ، غفر الله لك ياسير هنرى ليرنجتون ، لقد أهملت الطفلة فى حياتك ورميت بل وفاتك بتعريضها للدمار .

الفصل الثانى

جلست مدام استامبورت فى مطبخ كوخها الصغير وعلى وجهها أمارات الشجن وفى عينيها أثر الدموع كانت تقوم من وقت لآخر إلى النافذة المشرفة على الحديقة وتحدق بالطريق ثم تعود الى مقعدها وتطرق

ومدام استامبورت عجوز ذات وجه صبوح وجسم مكتنز وقامة قصيرة ولها احترام ومحبة في قلوب القرويين عامة وجيرانها خاصة . .

وكان موزع البريد قد طرق بابها منذ ساعة وأعطاها خطابا فلما فتحته اكفهر وجهها وارتعدت أوصالها وجرت الدموع في مآقيها

والجواب مرسل من مكتب مسجله السير هنري ؛ وكثيرا ماتسلمت العجوز في أوقات منتظمة خطابات من ذلك المكتب غير أن خطاب اليوم لم يكن يحتوى على المبلغ المعروف المعين الذى يرسل اليها فى كل شهر بل على شيء آخر . .

وسمعت صريف باب الكوخ فأشرق وجهها وقامت إلى النافذة فرأت بيرنى داخلة وبين يديها طفلة صغيرة فى ثياب بالية قذرة فدهشت وقالت .

— من هذه الطفلة ياعزيزتي

فضحكت الفتاة وسارت الى باب المطبخ ثم وضعت الطفلة فى حجر العجوز وقالت :

— هى طفلة مسكينة غريبة رأيت الأطفال يضربونها فحملتها إلى هنا

— آه ، وأين أهلها ؟

— لاأدري وقد سألت عنهم طويلا فلم أهتد الى مقرهم وأكبر الظن أنهم سيحضرون الينا متى عرفوا أنى حملتها الى الكوخ ؟

قالت ذلك وقدمت إلى الطفلة كعكة ثم قالت :

— إن المسكينة فى حاجة الى النظافة وثياب غير هذه الثياب القذرة

فحدقت العجوز بوجه الطفلة وقالت :

— إن لها طلعة مشرقة وابتسامة لطيفة ، ترى أين أمها ؟

— سألت أحد الاطفال فأخبرني بانه شاهد هذه الطفله مع امرأة فى الصباح وأنهما كانتا جالستين أمام عجلة ؛ وفى اعتقادي أن المرأة من النور الرحل

وكانت الطفلة تصغى الى المحاورة دون أن تتكلم ، وقالت بيرناردين ليرنجتون :

— سأصعد بها الحمام ؛ ولكن من أين أجيء لها بثياب نظيفة

— ان فى الدرج الاسفل من خزانة ثيابى ملابس أطفال

فبدا السرور فى عينى الفتاة وقالت :

— سأريك اياها بعد ربع ساعة فى أحسن هيئاتها

قالت ذلك وحملت الطفلة وصعدت بها الى الحمام ، وبعد نصف ساعة نزلت بها وقالت وهى تقبلها :

— انظرى يااستامي كيف صارت الطفلة بديعة !

وقبل أن تتكلم العجوز وقفت أمام نافذة المطبخ امرأة رثة الثياب ناحلة الجسم وعلى يديها طفل رضيع وقالت

— آه ، من جلب هذه الشيطانه الصغيره الى هنا ؟

فسألتها بيرنى بقولها :

— هل أنت أم هذه الطفلة الحسناء

— نعم وقد تركتها تلعب أمام العجلة ولما رجعت اليها لم أجدها وسألت الاطفال عنها فأخبرونى بأنى أجدها هنا — تعالى يازيكا

قالت ذلك وتناولت الطفلة من النافذة وقالت العجوز :

— إن اسمها لطيف جدا

فقالت النورية .

— إن أسماءنا معشر النور حسنة دائما ، آه ، أرى على زيكا ثيابا جديدة ، شكرا لكما !

ووضعت بيرنى يدها فى جيب لها وأخرجت نصف جنيه ثم دسته فى يد النوريه وقالت .

— ابتاعى حلوى للصغيرين

فاغرورقت عينا الام بالدموع وقالت :

— يالك من فتاة طيبة القلب ،

قالت ذلك وسارت بطفليها ووقفت بيرنى تتبع الطفلة البارعة الحسن ببصرها

وسمعت العجوز تتنهد فالتفتت نحوها وطوقت عنقها بذراعيها ثم قالت بحنان :

— ماذا حدث ياستامبى ، أراك واجمة

فأخرجت العجوز الخطاب من جيبها وقالت .

— هذا خطاب من المسجلين

— وماذا يريدون

— كتبوا ينعون أباك ، ويقولون أنه توفى فى بلد سحيق - بيرنى ، اعتصمى بالصبر ولاتحزنى

فحدقت الفتاة بوجه العجوز وقالت :

— ولماذا أحزن ، نعم ان فقد الاباء خسارة لاتعوض ولكنى مارأيت أبى قط . وهو لم يفكر مرة فى أن يزورنى

— صدقت

— وقد قرأت عنه أشياء كثيرة فلما عرفت أنه من مشاهير الرجال وأنه على خلق عظيم استقر فى نفسى أنه ما ابتعد عنى الا لسبب وجيه .

ورأيت الدمع ينحدر من عينى العجوز فقالت بلهجة تسيل عطفا .

— لماذا تبكين ؟

— أخشى أن أحرم منك - ولا مراء فى أن لك أهلا وأنهم سيأخذونك منى - أواه - قدوقع ما كنت أتوقعه - ومنذ يومين فقط كنت أقول لتد أن نفسى تحدثنى بأن الدهر سينتزعك منى ليرد على ناسك

— وماذا قال تيد ؟

— هز كتفيه وقال . ان كنت تظنين أن بيرني مستقيم في كوخك طيلة عمرها فانت واهمة . فغضبت

ثم تنهدت وقالت .

— فى الواقع إنى لا يعجبنى من تيد نظره الى الاشياء وأخشى أن أقول إنى لم أفهمه بعد

— ستفهمينه يوما ـ وستعرفين أنه من أصحاب القرائح الحسان وإنى أبشرك من الآن بانك سـوف

تدلين به وتباهين ،

ثم قالت لترسل الحديث الى ناحية أخرى .

— هل تعرفين أن لى أهلا ؟

— لا أدرى ولـكن لـكل إنسان أهل وأقارب أو أناس يهمهم أمره .

— وأين كانوا فى السنين الماضية ؟

— أنهم يظهرون متى يظهر المال . وإني أعلم جيدا أن السير هنرى كان من كبار الاغنياء

— ولـكن ما رأيت من ثروته الا المبلغ الصغير الذى يصلنا من المسجلين فى أول كل شهر

— أن المبلغ ليس بصغير :

— أتذكرين أنه أهملنى اهمالا فاحشا ؟

— كلا ، وكان حريا به أن لا يدعك فى هذه القرية الصغيرة بين أناس من العامة

تعبست بيرنى وقالت .

— إنى أحب العامة وأحب الـكوخ والقرية وهذه الحياة التى نحياها

فقالت العجوز وهى تغالب دمعها .

— الله يعلم يابيرنى انى ما ادخرت وسعا فى تهذيبك وتثقيفك وجعل حياتك سعيدة مفرحة ـ وأذ كرأن

القرويين سألونى منذ سنين بقولهم . لماذا ترسلين طفلتك الى المدرسة التى يديرها راعي الـكنيسة والتى تتع

فيها كريمتاه فاجبتهم بقولى . أن بيرني سوف يكون لها مستقبل زاهر فى آفاق مشرقة تختلف كثيرا عن أفق

قريتنا الصغيرة .

— أنا أدرى منك بـكل ما صنعتيه لأجلى ـ ولو حاولت أن أشـكر لك أياديك البيضاء على لعجزت .

فدعينا من هذا الـكلام وأمثاله وأعلمى أنى ما حزنت ولن أحزن على الرجل الذى أقصانى عنه ولم يفكر مر

فى أن يرانى أو يراسلنى أو يبعث الى بصورته الفوتوغرافية

وأطرقت برهة ثم قالت .

— وأمى ـ أين هى ؟

— لا أعرف شيئا عنها ـ ولا حاولت أن أتدخل يوما فيما لا يعنيني ويوم زارنى أحد مسجلى السير هنر

وسألنى عما اذا كنت أقبل أن تعيشى فى كنفى لقاء أجر معلوم لم أزد على (نعم)

— وهل كنت تعرفين أبى ؟

— كنت خادمة فى بيت أمه ـ وكانت ، رحمها الله ، تحسن معاملتى وتبرنى وأ كبر ظنى أن أباك فـك

حين أراد أن يتخلص منك ؛ وفى اعتقادى أن المسجلين يعرفون ما أجهله فسليهم عما تشاءين

— لا أريد أن أسألهم عن شىء ، وأين الرسا ؟

فقدمتها اليها العجوز وبعد أن فرغت الفتاة من مطالعتها ردتها اليها وقالت .

— أنهم يقولون أنهم سيتصلون بنا بعد أيام

— نعم .

— أنى لا أقبل أن ينظموا لى مستقبلى وسأفهمهم ذلك حين أراهم قالت ذلك وضمت العجوز الى صدرها وقالت .

— لا تحزنى وأعلمى أنى لا أحب احدا سواك وان هذه القرية أحب الى من لندن وما فيها من ثراء ونعيم وما الى ذلك مما قرأت عنه فى الكتب والمجلات .

— والآن لنفكر فى عشائنا .

— لقد صنعت لك فطائر لذيذة وسلقت دجاجة ربله .

— أنت لا تصنعين الا الجيد من الطعام .

وفى صباح اليوم التالى انتشر فى القرية نبأ وفاة السير هنرى فتحفزت لالقاء الاسئله على بيرنى والعجوز استامبورت .

واهتمام القرية بالسير وكريمته قديم جدا وكثيرا ما ضاقت الفتاة ذرعا باسئلة أهل الفضول حتى أنها التزمت خطة الصمت حيال السائلين .

نعم كرهت ان يبحث الناس فى شئون ابيها والأسباب التى حملته على ان يرسلها الى القرية فجعلت تقول لكل سائل . ان لدى والدى أسبابا هامة تحتم عليه ان يعيش بعيدا عنى .

وكثيرا ما دار الحديث حول أبيها فى الابراشية غير أنها كانت تحب الراعى الصالح وزوجته الكريمة مدام ديلى فلا تحاول أن توجه الحديث الى ناحية أخرى ثم ان الراعى كان يمس موضوع السيرعرضافى حديثه على ذكر مقالة نشرت فى الصحف عن الأعمال المجيدة التى يقوم بها المهندس القدير فى الشرق أو لمناسبةظهور صورة السير فى إحدى المجلات — وحتى فى تلك الأوقات كانت بيرنى تشعر بالحزن الذى يشعر به المجفو المهمل

وكان لبيرنى أصدقاء آخرين غير الراعى وزوجته وكريمته وفى مقدمتهم وأحبهم الى نفسها آل كريتون وهم ينزلون ضيعة قريبة ، واذا كانت بيرنى قد نالت شيئا من التثقيف والعلم فى مدرسة الراعى ويلس فان ما نالته لا يعد شيئا مذكورا بجانب ما حصلت عليه من الشيخ سيمون كريتون رأس اسرة كريتون وجد الشاب الذى يملك الضيعة.

والشيخ كيريتون وان كان الآن طريح الفراش أبدا ولا يرى أبعد من انفه لضعف بصره الا أنه طاف فى زمانه أقطار الارض وعاشر العجم والعرب وساح تحت كل نجم وقرأ عددا هائلا من الكتب العلمية والادبية والفلسفية فخرج من كل ذلك بكنز عظيم من العلم والفضل والحكمة وقد القى كنزه هذا بين يدي بيرنى فانتخبت منه ما ينسجم ومزاجها ويتفق وروحها فبرعت فى كثير من المعارف وزخر صدرها

بالعلم ورأسها بالتجربة .

أدرك الشيخ بثاقب فكره وفراسته الصادقة ان الفتاة بيرنى على جانب عظيم من الذكاء فكان يدعوها الى مجلسه كلما زارت ضيعة كليب وفى تلك الجلسات ينثر درره الغوالي فيلتقطها ذهن الفتاة ، وقد يضع الشيخ فى يدها حين انصرافها كتابا ويسألها ان تقرأه بأنعام وروية ويكون اول ما يسألها عنه فى الزيارة التالية هو رأيها فى الكتاب ، وبهذه الوسائل واشباهها لم تحرم ابنة الحمير هنرى من العلم

ونبت على مر الأيام حب مكين بين الشيخ وبين الفتاة ، حب طاهر شريف ، مثل ذلك الذى ينبت بين الأب وبين وحيدته . وكانت مدام كيريتون تغار من عناية والد زوجها بربيبة مدام اليصابات استامبورت ، غير أنها كانت أعقل من أن تدع نيران الغيرة تحرق صدرها أو تعميها عن محاسن بيرنى ، وما أكثرها !

وقد تكلمت مدام استامبورت ذات مساء عن آل كيريتون . وكان ذلك منذ عامين فقالت لبيرنى :

— كان أوليفر ابن الشيخ سيمون من الرجال الجدين الصادقين الذين لا يعرفون إلا واجبهم وإلا العمل الجهد المتواصل ، وكان رحمه الله رقيق الحاشية كريم الخلق ، ومثله فى ذلك مثل أبيه سيمون ، ويزعم بعضهم انه كان يحب زوجته حباً كاد يقرب من العبادة ، وانى لم أزل أذكر يوم جاء بزوجته الى الضيعة ، وأذكر الحديث الذى أفضى به الى الشيخ سيمون ، ذهبت اليه لأهنئه فعبس وقال بلهجة تسيل أسى وهما :

« انى خليق بأن أعزى ، وهل يسر الرجل الشريف أن يتزوج ابنه من امرأة كانت تعمل فى حانة ، لا أنكر اننا فقراء ، ولكن كان يجب أن يتذكر أوليفر قبل أن يجيئنى بتلك الفتاة اننا أناس شرفاء ولنا كرامة » ، غير أن الشيخ رضى عن زوجة ابنه بعد أن أنجبت روجر كيريتون ، وأغرب من ذلك انه أغرم بالطفل اغراما عظيما ، ولما توفى أوليفر صار الشيخ يبكى ويقول أن الفاجعة عظيمة ، غير أن وجود روجر سيهون الخطب ، ونشأ روجر على حب جده حتى ليقال انه يحبه أكثر من حبه لأمه

وكانت مدام استامبورت تعجب بروجر وتتمنى ان لو كان ابنها تيد على غراره ، وسمعتها بيرنى ذات يوم تقارن بين الشابين وتحامل على ولدها فقالت :

— انى أكره من تيد اعتداده بنفسه واهماله للحانوت الذى خلفه له أبوه . لماذا لا يديره كما أداره والده من قبل ، وما معنى اضطرابه ههنا وهنا وعدم استقراره فى مكان ما ، ويغيظنى منه انه يزعم انه يدرس العالم غفر الله له ، وماذا يجديه درسه للعالم . أما روجر فهو يعمل فى الضيعة التى خلفها أبوه ولا يخلد الى الراحة أبداً ولا عيب فيه سوى انه قليل الحفل بأمه

وكان روجر قليل الحفل بامه كما ذكرت مدام استامبورت ، وكان لا يعجب بآرائها ولا يأخذ بنصائحها ، ومن الغريب انه لم يرث سوى النشاط عن أبيه ، أما الصفات الأخرى الحميدة التى كان أوليفر موسوماً بها فان الابن لم ينل منها شيئا ولذلك لم تمل اليه القلوب ولم يخطب وده أحد ، وكان أكبر ما يعيبه الوعورة التى فى خلقه إلا أن تلك الوعورة كانت تختفى وتحل مكانها الوداعة فى حضرة جده الشيخ

وبين روجر وبين أمه خلاف مستمر على مسألة تأبى الأرمل إلا أن تثيرها دائما ، كانت تقترح عليه دائما ان يخلفا ضيعة كليب ويذهبا الى مكان آخر وكان يرد عليها فى كل مرة بقوله

« انه لا يترك الارض التي عاش فيها أبوه ويعيش فيها جده المحبوب فتذكره بانها تملك بعض الضيعة الصغيرة فيهز كتفيه ويأمرها بان تكف عن مثل هذا الكلام

وذهبت بيرنى بعد الغداء الى الابراشية لترد على الراعى الصالح كتابا كانت قد استعارته منه، ومابدت في طريق القرية حتى ازدحم حولها القرويون، هذا يعزى وذاك يطرح سؤالا وقالت بعجب من الآباء الذين لا يذكرون أبناءهم إلا قبيل وفاتهم ، واستطاعت الفتاة أن ترضى الجميع بحديثها ثم بادرت الى طريقها وقبل أن تبلغ الأبراشية رأت الشقيقتان ترنتز ، كما يدعوها أهل القرية ، قادمتين نحوها فوطنت النفس على سماع ما تكره واستقبلتها احداهما وتدعى مس اجاثا بقولها :

— لا ندرى يا بيرنى هل نتقدم بالتهنئة أم بالعزاء

فعبست بيرنى وقالت :

— ان فقد الآباء مصيبة على أية حال

فقالت مس ترنت :

— ولكن السير هنرى ليرنجتون ترك ثروة طائلة

ألم تر بعد
نشيد الامل
لقد شاهده
غيرك مرات
هاهى الفرصة الذهبية امامك
بسينما رويال
اربع حفلات يوميا

فهزت بيرنى كتفيها وقالت :

— أعرف شيئا عن ثروته

فقالت مس جانا :

— أن الصحف ذكرت انه جمع أموالا طائلة

فردت عليها بيرنى بقولها :

— ربما

ثم أحنت رأسها وواصلت سيرها

وقدم الراعى الصالح وأسرته العزاء الى بيرنى فشكرتهم وقضت معهم ساعة ولما همت بالانصراف قال المحترم ويلس :

— يجب أن تذكرى يا بيرنى دائما أن أباك كان من مشاهير الرجال وانه نال بنبوغه واستقامته وهمته اعجاب مواطنيه وغيرهم من الذين عمل معهم

ولما خرجت تنهد وقال لزوجته :

— ترى ماذا يخبىء المستقبل لبيرنى الصغيرة ؟

فتنهدت مدام ويلس وقالت :

— لا تخف أنها فتاة ذات ذكاء نادر وخلق قويم ، ولا شك فى انها ورثت بعض خصال أبيها الحميد

— انها طفلة وقد عاشت هنا فى عزلة وبعيدة عن مفاتن المدن

— إن الله رحيم بعباده

— نعم

وفكر برهة وقال :

— وشأن روجر يحيرنى - انه حزين دائما - ولم يحضر الصلاة فى يوم الأحد

— ان أمه هى سبب أشجانه

— وكيف كان ذلك ؟

— انها تملك الضيعة أو معظمها ، وهى تلح على ولدها دائما بان يرحل معها الى مكان آخر ، وتهدده من وقت لآخر

— تهدده ببيع الضيعة ؟

— نعم

— ولكنه لا يستطيع أن يهجر جده

— وهذا ما يقوله روجر دواما

— وفق الله الجميع الى مافيه اخيرهم وصلاح عيشهم !

الفصل الثالث

ومر يومان

وكان رأى الليدى ليرنجتون قد استقر على أن تعايش بيرناردين ليرنجتون اذا قبلت الاخيرة أن تعايشها ورأت أن تقابل الفتاة وتحادثها على انفراد قبل أن يتصل بهـا محصلو أبيها ، وفى يوم لطيف النسائم مشرق الاديم استقلت الليدى سيارتها الفاخرة ثم أعطت السائق ورقة فيها عنوان مدام استامبورت

ولما وقفت السيارة بباب الكوخ كانت بيرنى جالسة على الخضرة فى الحديقة وبيدها مجلة قديمة مصورة ورأت الفتاة القادمة ذات الثياب الغالية والحلى الثمين فوقفت ونظرت اليها بدهش

ونزلت الليدى وفتحت الباب ثم دخلت وقالت .

— هل انت كريمة السير هنرى ليرنجتون ، انى أرملته ؟

فاحنت الفتاة رأسها وقالت .

— لم أكن أعلم ان ابى ترك أرملة

— انى أرملته وقد جئت لاراك وأحادثك

قالت ذلك واجالت بصرها فيما حولها فبادرت بيرنى باحضار مقعدين كانا تحت شجرة قريبة وجلست المرأتان وقالت بيرنى .

— ان مدام استامبورت غير موجوده الآن فى الكوخ

— ومن هى مدام استامبورت ؟

— السيده التى كفلتنى طيلة كل تلك الاعوام

قالت ذلك وعبست ولعلها ادركت قسوة أبيها ، ثم سألت الزائرة بقولها

— منذ كم سنة تزوجت من أبى ؟

فهزت الليدى كتفيها وأجابت قائله .

— لا أدرى يا عزيزتى ولـكنى اعلم انى لم أعايشه طويلا وكان الزواج من أوله الى آخره غلطة كبيرة وحماقة عظيمة ، وقد غرنى منه اسمه الضخم وشهرته الواسعة وأمواله الطائله ولـكنى لم أجد السعادة التى كنت أنشدها ، وفى اعتقادى أن أية امرأة لا يمكنها ان تعيش فى ظل أبيك ، ومن عيوبه ، وهى عديدة ، انه ذو أهواء متقلبه ، واطوار غريبة

— ولـكنه كان رجلا عظيما ممتازا

— نعم

وتفرست الارمله فى وجه الفتاة فرأت تلك النضرة التى ترى فى وجوه أهـل الريف كما رأت شعرا غزيرا ورأسا جميلا وعينين واسعتين رماديتين ولهما أهداب كثيفة طوال ، وعرفت ان الفتاة ليست بارعة الحسن فائقة الملاحة ولـكنها ذات حسن يعجب الرجال ونظرات تذيب حبات القلوب وجاذبيـه غريبة وشخصـيه

بارزة ؛ وشعرت الأرمل بالغيرة تدب فى صدرها دبيب العقارب وغمغمت تقول لنفسها . مثل هـذا الوجه لا يراه الإنسان إلا ويلتفت ليراه مرة أخرى

وساد الصمت حينا ثم قطعته الليدي بقولها

— لعلك ترومين أن تعرفى سبب مقدمى

— كلا لأن السبب ظاهر جلى

ثم ابتسمت وقالت .

— انه حب الاستطلاع لا أكثر ولا أقل

— ربما ، ولكنى حضرت أيضاً لاطلعك على أغرب شروط وضعها فى وصيته الاخيرة أغرب رجل

— انى لا أعرف شيئا عن وصية أبى ، وكل ما حدث ان مسجليه كتبوا الينا ينعونه ويذكرون انهم سيتصلون بنا بعد ايام

— حقا انى مافهمت زوجى السير هنرى قط

— وما تلك الشروط الغريبة

— انه شرط واحد

— وهل ترك ثروته لك أم لى ؟

— ترك لك معظم ثروته والقليل النذر لى غير انه اذن بأن آخذ مبلغا آخر إذا ...

ولم تزد فقالت الفتاة :

— لم أعرف الشرط بعد ، هلا أوضحت وأفصحت ؟

— ان الثروة التى خلفها لك ابوك ستجعلك من اغنى فتيات انجلترا وستمكنك من اقتناء وشراء كل ما تصبو اليه النفوس وستمتعك بكل ما تشتهيه النساء من ثياب وجواهر وقصور وخدم ومركبات

فابتسمت بيرنى وقالت .

— يبدو لى انك تحبين المال حبا جما

— ومعظم الناس يحبونه

— ان العدم والثراء عندى سيان

— ولكنك ستقولين غير هذا الكلام بعد ان تحتويك مدينة لندن وبعد أن تعرفى ان فى جيبك دفترا « للشيكات »

— لا مراء فى انى سأقيم بلندن

— وأين ؟

— لا أدرى ؛ ولكن ما ذلك الشرط الذى ورد فى وصية أبى ؟

— انه شرط غريب ولا ينفذ إلا إذا اتفقنا على تنفيذه ، انه اشترط أن تعايشينى

— وإذا رفضت شرط أبى ؟

— أحرم أنا الا من المبلغ الصغير الذى أفرده لى

— وإذا رفضت أنت ؟

— إنى لا أرفض ويسرنى أن أراك فى بيتى دائما

فقالت بيرنى من فورها

— وأنا لاأعرف مدينة لندن وليس لى أصدقاء فيها ، ثم انى أجهل بعض آداب الاجتماع وتقاليد أهل الطبقة العليا ، ولايمكننى أن أحسن اختيار الثياب والحلة التى تليق بى ولهذه الامور مجتمعة أرى من الحكمة أن أعايشك لاخذ منك ماأجهله

وكانت تتكلم والليدى تنظر اليها بدهش واعجاب ، لم تجد أمامها فتاة ساذجة ضيقة الفكر كما توهمت بل فتاة حسناء وذات شخصية وارادة وذكاء ،وقالت بيرنى.

— انى أحب الاسفار

— وأنا أحبها أيضا ، وسأريك باذن الله ، معظم العواصم الاوربية ومافى القارة من معالم وعجائب

— وهل جعلك أبى وصية على؟ — كلا

— ألم يرتب لك حقا من الحقوق على؟ — كلا

— انى أحب أن أعيش حرة طليقة وأكره أن يملى أحد على ارادته

— وأنا أحب الحرية مثلك ولن يحاول أحد أن يفرض ارادته عليك

— أحسبنا اتفقنا

— لقد اتفقنا منذ قبلت أن تسكنى معى

— ولماذا لم ترفضى الشرط ؟

فازعج هذا السؤال الارمل غير أنها قالت بصراحة .

— لانى أحب ألوان النعيم والترف وأحب البذخ

— فهمت ـ ومامقدار ثروة أبى ؟

— لاأدرى ، وسنعرف كل شىء من المسجلين

— لوكنت فى مكانك لرفضت الشرط

— لانك لاتحبين الترف حبى له — ربما

— ومتى سأراك فى لندن ؟

— قريباً ، ويجب أولا أن أوطن نفس مدام استامبى على الفراق وستحزن المسكينة حزناشديدا ولاريب

— فى مكنتك أن تكافيها على اخلاصها لك

— ان كل كنوز الأرض لاتساوى الحنان والحب والرحمة وهذا مايقوله الشيخ سيمون دائما

ثم ابتسمت وقالت . — انه صديقى الصدوق وأستاذى الأكبر

ثم وثبت واقفة وقالت . — آه ، نسيت أن أقدم لك قدح شاى

— كلا ، أشكرك يجب أن اعود الآن لأن الشقة شاسعة

وقالت وهى تصافح الفتاة .

— اكتبى الى قبل قدومك بيومين لاهد لك جناحا و . . . فقاطعتها بيرنى بقولها .

— إنى أقنع بكل شىء ولاتهمنى المظاهر

فابتسمت الليدى وقالت .

— مثل هذا الكلام يقال هنا فقط

قالت ذلك وقدمت بطاقة الى الفتاة وقالت

— هذا عنوانى !

ثم دخلت السيارة الفارهة فطارت بها ووقفت بيرنى تتبعها ببصرها ، وبعد قليل أقبلت مدام استامبورت وكانت هيئتها تدل على اضطراب وحدقت بوجه الفتاة طويلا ثم قالت بصوت تخنقه العبرات والزفرات

— لقد حضروا ، أليس كذلك ، ان بعض الاطفال أخبرنى ؟ — لم أفهم

— المسجلون الذين سينتزعونك منى ، ولكن من أنا حتى أطمع أن أتمتع بك طول حياتى ، ان بعض الاطفال شاهد الزيارة التى وقفت بباب كوخى الحقير

فذكرت بيرنى ماجرى بينها وبين الليدى هذا ودموع العجوز تنهمل ،وزفراتها تتصاعد، وأخيرا استطاعت الفتاة أن ترفه عنها بحنانها وقبلاتها ثم قالت .

— وسأزورك فى كل أسبوع

— لا ، لا ، لا ، لا تفكرى فى كثيرا ولا تزعجى نفسك وأنت فى مستهل حياتك الجديدة الرغدة بالقدوم الى هنا ، حسبي أن أتسلم منك فى كل أسبوعين بطاقة صغيرة

وساد الصمت مليا ثم قالت العجوز .

— هل شعرت بميل نحو الليدى ليرنجتون ؟ — كلا ، ولا أدرى لماذا ؟

فبدأ الخوف فى عينى مدام استامبورت غير أن الفتاة بددت مخاوفها بقولها ولكنها سيدة وديعة . وسوف تتملقنى ولا ريب وتتقرب الى خشية أن اخلف بيتها فتحرم من المال

— ومتى ، متى ستسافرين ؟

— لم أقرر اليوم بعد ، ومادام السفر أمرا لا مفر منه فمن الخير ان يكون وشيكا لاستريح من فضول القرويين وسأزور الشيخ سيمون والابراشية وأطلعهم على كل شىء

— ومتى ستزورينهم اليوم ، أو غدا

— لا ، دعينى أتمتع بك ما أقمت هنا . وفى يوم السفر تذهبين اليهم وكتب المسجلون فى اليوم التالى الى الآنسة ليرنجتون ينصحونها بأن تكون فى دار الليدى ليرنجتون قبل انقضاء الاسبوع ما دامت قد اتفقت معها على تنفيذ الشرط — وحل يوم الفراق .

وذهبت بيرنى فى البكور الى ضيعة كليب لتقضى حقوق الوداع فوجدت مدام كيريتون لم تزل نائمة وعرفت من ولدها روجر أن جده الشيخ أصيب ليلة أمس باغماء شديد استدعى حضور الطبيب فتأثرت الفتا

محـــلات محمد ابراهيم

بشارع الناصرية أمام الجامع الاسماعيلى بمصر

زيارة لهذه المحلات تكفى

لمشاهدة أفخم الموبليات وأفخر الانتيكات والرسومات الحديثه الجذابة والانتيكات المطعمة بالصدف والسن وأشغال أنتيكة النحاس السجل التجارى رقم ٢٨٧٣ محافظة مصر

محلات محمد ابرهيم

مصرية صميمة

وسألته بقولها .

ـــ وكيف هو الآن ؟

ـــ أحسن من ذى قبل ، وهو فى مخدعه .

ـــ جئت فى هذه الساعة لأودعه .

ثم قالت .

ـــ إنى مسافرة اليوم الى لندن وسأزور القرية من وقت لآخر .

فسألها ـ روجر كيريتون بقوله .

ـــ وماذا ستصنعين فى لندن ؟

ـــ سأقيم هناك .

فهز رأسه وقال .

ـــ إنى لا أعرف شيئا من أنباء القرية وساكنيها

ثم قال بعد برهة .

ـــ وجئت لرؤية جدى ؟

ـــ نعم .

ـــ لا أراك تحبين الشيخ .

فاحمر وجهها وقالت .

ـــ أنت تعلم انى أحبه مثل حبك له

ـــ نعم ولكن سفرك سيزعجه أيما ازعاج ، ومن الرحمة أن ندعه يجهل ذلك الخبر المحزن حتى يعرفه فيما بعد

ـــ هذا رأى حسن ـ وان كنت أشتهى ان أراه قبل سفرى .

ـــ وماذا ستصنعين فى لندن ؟

ـــ سأعيش مع زوجة أبى .

ـــ آه ، ولكن لندن مدينة كبيرة ؛ ولو كنت أختى لحرمت عليك دخولها . ـــ ولماذا ؟

فلم يجب فقالت .

ـــ أرجو أن تخبر الشيخ بانه يسرنى جدا أن أرسل اليه كل ما يريده من لندن

فعبس الشاب فاستدركت تقول .

ـــ أنه ـ شفاه الله ومتعه بالعمر الطويل . يحب الكتب وقد سمعته مرة يذكر كتابين فاخبره باننى سارسلهما اليه .

ـــ الآن عرفت انك ورثت مالا ـ ألا قاتل الله المال ـ لا ياسيدتى العزيزة لا ترسلى شيئا الى جدى وسأساله عن الكتابين وابتاعهما له .

ـــ ما هذه الفظاظه ياروجر ؟

ـ ليس ما تحسبينه فظاظة سوى كلمة الحق

فنظرت اليه مليا وخرجت من البيت وسلكت الطريق المؤدى الى الابراشية وبعد ان ودعت أسرة الراعى الصالح عادت الى الكوخ ووضعت بعض ثيابها فى حقيبة صغيرة ثم قالت لمدام استامبورت

— سأحمل حقيبتي واسير على قدمي الى المحطة فلا تزعجي نفسك بالقدوم معي ؛ ثم انى لا اطيق ان يتحرك بي القطار وانت على افريز المحطة .

فاجهشت العجوز وسالت دموع الفتاة .

وبعد ساعة كان القطار يسرع بالفتاة الى مدينة لندن .

الفصل الرابع

لم تكتب الليدى لير نجتون الى روبرت باسيلدون سوى اسطار عليها مسحة الطيبة غير أن الرجل الفطن أدرك الغرض الذى حفز الليدى الى دعوته قالت فى رسالتها .

« حضرت اليوم الآنسة لير نجتون فأنزلتها احدى غرف الصرح الفسيحة فهلا تكرمت بتناول العشاء على مائدتى لاقدمها اليك ، ستراها فتاة لطيفة هادئة من فتيات الريف »

عرف روبرت ان الارمل تبغى ان تخرج الفتاة فى أول يوم من أيامها بلندن وذلك باظهارها امام رجل لا تعرفه ، وابتسم وقال وهو يضع الرسالة فى جيبه ؛ والشقية تروم ان تكسف بشبابها الفاخرة وحليها الثمين وتأنقها حسن الفتاة . سأقبل الدعوة لا ارضاء لليدى ولا طمعا فى طعامها ولكن لأعين الفتاة المسكينة على أمرها أن وجدتها فى حاجه الى المعين

وكانت بيرنى فى قاعة الاستقبال بمفردها حين دخل رئيس الخدم يسعى بين يدى المستر روبرت باسيلدون ، وكانت فى ثوب أبيض من التيل الجيد وليس على وجهها لون من الوان الزينة

شركة مصر لعموم التأمينات

المركز الرئيسى : ميدان سليمان باشا بالقاهرة تليفون ٤١٢٠٩

مكتبها بالاسكندرية ١٢ شارع فؤاد الاول تليفون ٢٩٧٣٨

لها توكيلات بجميع فروع

بنك مصر بالاقاليم

تقوم بالتأمين على الحياة — التأمين ضد اخطار النقل البرى والبحرى التأمين على السيارات التأمين على الممتلكات والعقارات ضد أخطار الحرب — التأمين ضد الحريق — كذلك تقدم ضمانات لأرباب العهد • وجميع أنواع التأمين الأخرى

ووجدها الزائر على خلاف ماكان يتوقع ، وقدم نفسه اليها بقوله .

— انى ادعى روبرت باسيلدون وأنا من اصدقاء الليدى لير نجتون فابتسمت القروية ابتسامة تشبه تألق النجم وقالت .

— وأنا مس لير نجتون ، وما اخبار مدينتكم الزاهرة ؟

أجل لم يجدها روبرت كما كان يتوقع ، رأى فتاة تعد من الجميلات الساحرات وذات صوت موسيقى ولهجة تدل على ثقافة ونظرات وضحكات تنم عن اطمئنان واعتداد بالنفس ، والعهد بالفتيات الريفيات انهن خائفات حذرات مضطربات حائرات بين ايدى سكان العواصم الكبرى ، ورد عليها روبرت بقوله .

— ان أخبار لندن لا تحصى ولكنى أستطيع ان أطرفك بنبأ جديد هام ؛ فى ظهر هذا اليوم اشرق فى سماء مدينة لندن كوكبا متألقا من كوكب الريف

فابتسمت الفتاة وقد أدركت ما يعنيه ، ودار الحديث حول اعلام لندن ومشاهدها وبغتة دخلت الليدى لير نجتون فى أحسن هيئة لها ففغرت الفتاة فاها ثم قالت .

— أه ، ما أجمل وجهك وثوبك وحليك ومشيتك ونظراتك ياليدى لير نجتون

فابتسمت صوفى لير نجتون وقالت لروبرت .

— رد عنى ملق الطفلة قبل أن يقتلنى الزهو

فضحكت الفتاة وقالت .

— لم أقل إلا الحقيقة . ليتنى امسى مثلك ياليدى لير نجتون .

فابتسم روبرت وقالت بيرنى .

— ترانى بدينة يا مستر روبرت ، ان المجلات تؤكد ان النحافة هى المودة السائدة الآن ، وسأصير نحيفة بعد اسابيع

فهز الرجل رأسه وقال . — حذار من الموده يامس لير نجتون

— أنى أكره الاصباغ والدهون والسجائر والخمر ولكنى احب كما تحب كل امرأه .أن أكون فى الصفوف الامامية

فرمقت الليدى الزائر ثم ابتسمت ، ووقفت الفتاه بغتة وقالت .

— آه ، نسيت ان اكتب الى عزيزتى استامبي ؛ لن اغيب أكثر من ربع ساعة ، معذره ؟

قالت ذلك وركضت الى الباب ؛ وتنهدت الليدى وسألت مضيفها بقولها :

— ما رأيك فى الفتاة ؟

— كيف أحكم لها أو عليها وأنا لم أرها إلا دقائق ، حسبى أن أقول الآن انها ساحرة مدهشة

فتغير وجه الليدى وقالت :

— انى اكره الفتيات على الاطلاق ، وبيرنى وإن كانت ذات ارادة وشخصية قوية ، غير انى أجدها أفضل من سواها ، وعلى أية حال فالزمن كفيل بأظهارها على حقيقتها

— أكبر ما يعجبنى منها انها تمثل الأنوثة الكاملة

فاصفر وجه الأرمل برغم ما عليها من ألوان الزينة وقالت :

— والله لا سحر فى الفتاة ولا أنوثة ؛ وانما أنت مثل بقية الرجال الذين يعجبون بالريفيات الساذجات الطاهرات المشرقات الوجوه

فابتسم فعبست السيدة وقالت : — ثم انى اكره منها شبهتها لأبيها

وعادت بيرنى تقول :

— حررت الرسالة وعهدت الى أحد الخدم بوضعها الليلة فى صندوق الخطابات ، آه كم ستسر بها مدام استامبى .

ولما جلسوا الى مائدة العشاء راحت الليدى ليرنجتون تخالس الفتاة النظر إبتغاء أن تقع منها على هفوة وهى تأكل ولكن بيرنى جلست الى المائدة مطمئنة واستخدمت آلات الطعام فى رشاقة وخفه ، وقالت لليدى ليرنجتون :

— نذهب غدا الى بيوت الأزياء لشراء ماينقصك من ثياب

فضحكت بيرنى وقالت :

— انى ينقصنى كل شىء ، ولكنى لا أستطيع أن أغادر البيت غدا

فسألتها الارمل بقولها : — ولماذا؟

— لأن المسجلين سيحضرون فى الصباح

ثم انثنت الى روبرت وقالت :

— انى أحب الثياب الثمينة وانى أحب أكثر منها أن أرى برج لندن وحدائق هيد بارك ، والمتحف البريطانى ، ومجلس العموم

فضحك روبرت وضحكت السيدة وقالت :

— ان برج لندن والمعالم التى تريدين أن تشاهديها استقرت فى أماكنها منذ سنين ، وأحسبها لن تنتقل قريبا الى مملكة أخرى ، وأنت الى الثياب احوج منك الى رؤية المتاحف والحدائق

— صدقت لا انى لن أبدو جميلة مثلك ولو أرتديت ثوبك هذا

ورفعت بصرها الى روبرت وقالت :

— ان فى قريتنا فتيات يعرفن كيف يلبسن وينتخبن الثياب البديعة وكنت أتمنى حين أراهن فى الكنيسة أو فى احدى الحفلات أن أجد ثيابا مثل ثيابهن ، وكنت أظن ان ملابس بنات كربسبن وكريتى الراعى الصالح من أبدع ما أخرجت بيوت الأزياء فى لندن ، ولكن بعد أن رأيت ثوبك هـذا يا ليدى ليرنجتون عرفت انى واهمة

فضحكت الليدى ونظرت الى ثوبها وقال روبرت — وما اسم راعى قريتكم ؟

اشتروا بالقسيط

أسهم بنك مصر وشركاته من

شركة مصر للأوراق المالية

ميدان سوارس رقم ٤ تليفون ٤٣٧٣١

ـ المستر ويلس ، وله ابنتـان ـ ايرين ، وبيرل ، وأنا مدينة للقس المحترم ببعض الثقافة التى أحرزها ؟ أما أستاذى الأكبر فهو الشيخ سيمون كرتيون ؛ ومن الوفاء أن أقول أن مدام ويلس علمتنى كيف أتـكلم وكيف آكل وكيف أعامل الناس .. ولما عادوا الى قاعة الاستقبال قالت الليدى

ـ انى سأركب بعد نصف ساعة الى دار صديقة لى

فسألتها بيرنى بقولها.

ـ هل صديقتك مريضة ؟

فضحكت الليدى وقالت :

ـ كلا ـ والمرضى لا يقيمون الحفلات الراقصة

ووقف روبرت وصافح السيدتين ثم استأذن وخرج وقالت الليدى بعد منصرفه

ـ أنت متعبة الليلة يا بيرنى ولا ريب فاصعدى يا عزيزتى الى مخدعك واستريحى

وصعدت الفتاة الى مخدعها واستقلت الليدى سيارتها الى دار صديقتها

وجاء فى الصباح رئيس المسجلين وعرض وصية السير هنرى ليرنجتون على أرملته وكريمته وبعد أن عرف كل منهما حقوقه وواجباته سألت الفتاة المسجل بقولها .

ـ أريد أن اعرف شيئا عن شباب أبى ، وأهله ، وزواجه الاول

ـ كل مانعرفه ان لوالدك بعض الاقارب ؛ وانه كان وحيـد ابويه وان والده توفى فى سن مبكرة ، وان السير هنرى كان يحب امه حبا عظيما ؛ وانها توفيت فى « رن كورت » وهو بيت قـديم كان لأبيك ثم باعه ، هذا كل مانعرفه

ثم وقف وقال .

ـ سأنتظركما فى مكتبنا بعد الظهر لتوقعا على بعض مستندات ، أوه ونسيت يامس ليرنجتون أن اعطيك دفتر شيكاتك

قال ذلك وقدم اليها غلافا طويلا

ومرت المرأتان بمكتب المسجلين بعد الظهر ، ثم ركبتا الى بيوت الازياء حيث ابتاعت بيرنى عـدد اثواب فاخرة وسألتها الليدى وهما فى احدى تلك البيوت

ـ انى أكره الثياب السود ، ولا أرانى فى حاجة لأن احد على زوجى وقد توفى في الشرق السحيق

ـ وأنا لن أحد عليه ايضا ولذلك ما اشتريت ثوبا اسود

وعادت المرأتان فى المساء الى الصرح ، وصعدت بيرنى من فورها إلى مخدعها وانشأت تجرب الاثواب والقبعات والأحذية التى ابتاعتها وانها لـكذلك إذ دخلت الليدى ليرنجتون تقول .

ـ عفواً ياعزيزتى بيرنى ، ستتناولين طعام العشاء الليلة بمفردك

ـ آه ، اذا هبة أنت الى احدى الحفلات ؟ ـ نعم انى مدعوة الى حفلة راقصة وسأتعشى هناك

ـ كم اتمنى ان ارقص فى احدى الحفلات !

ـ ولـكنك غير مدعوة ، وبعد ان تطمئن بك لندن وتألفين هذا الجو الجديد ـ اقدمك الى صديقاتى واصدقائى فتتوجه اليك فى اليوم الواحد عشرات الدعوات ؛ طاب مساؤك !

قالت ذلك وخرجت ، وحدقت الفتاة بخيالها فى المرآة وابتسمت ثم غمغمت تقول ،مارايت اكذب منك يا ارملة ابى ، ستمر شهور وشهور قبل ان تقدمينى الى اصدقائك

وارتدت ثوبا بديعا نفيسا ونزلت الى قاعة الطعام وبعد ان اكلت جلست فى قاعة الاستقبال تفكر وفى الساعة التاسعة دخل عليها رئيس الخدم يقول :

-- المستر روبرت باسيلدون ابتاع الكتابين اللذين تريد الآنسة لير نجتون ان تهديهما لصديق لها . وهو يسأل عما اذا كان يستطيع ان يحضرهما الآن

فاشرق وجه الفتاة وسألته بقولها .

-- واين هو

-- كلمنى فى التليفون وهو ينتظر ردك

-- اخبره بانى انتظره

وجلست تفرك يدا بيد ، وقد سرها ان تمضى الامسية فى محادثة صديق رزين عاقل وحيته حين قدم بقولها

-- أشكرك كنت مستوحشة ، أن لندن بديعة بشرط أن نكون مع أصدقاء لنا

فابتسم وصافحها ثم قدم اليها سفرين كبيرين وقال

سمعتك تذكرين هذين الكتابين فاشتريتهما

-- أشكرك ، وسأرسلهما فى الصباح الى صديقى وأستاذى الشيخ سيمون كيرتيون . كم ثمنهما ؟

فابتسم وقال -- أعرف أنك غنية جدا

وابتسم مرة أخرى وقال -- سنتحاسب فى يوم آخر

-- كيف ترى ثوبى هذا أنى ابتعت اليوم عشرات من الاثواب والقبعات ؟

فتأملها مليا فرأى شبابا غضا وجمالا فائقا وقواما بديعا وأعادت السؤال عليه فاجاب بقوله .

-- ان الثوب بديع جدا ، وأين الليدى ليرنجتون ؟

-- خرجت الى حفلة راقصة وخلفتنى وكنت أود أن أذهب معها

-- ن شئت اذهب بك الى حفلة أقامتها ابنة عمى الليله

-- وهل أذهب بدون دعوة . كلا . أشكرك ! -- اذن نمض الى أحد المنتديات الليلة

فصفقت سروراً وقالت

-- انى قرأت كثيرا عن تلك المنتديات التى لا توصد أبوابها إلا قبيل الفجر . هيا بنا !

قالت ذلك ووثبت واقفة فنظر اليها طويلا فتضرجت وجنتاها وسألته وهى تبتسم بقولها .

-- لماذا تنظر الى هكذا -- أنت فتاة . . .

-- خذ فى حديثك !

-- لا أدرى ماذا اقول ، ان كل مافيك مدهش

فضحكت وقالت !

-- وانا آحب أن أكون مدهشة فوقف وقال :

-- أتريدين أن نذهب الى نادى ليلى

-- نعم ، نعم انتظر حتى أحضر معطفى وقبعتى !

قالت ذلك وخرجت ومالبثت أن عادت وقبعتها على رأسها ومعطفها فوق ذراعها وقالت .

-- سأبتاع بعد يوم أو يومين سياره

واستقلا سيارة تاكسي وقال روبرت وهما على الطريق .
-- سترين الليدى ليرنجتون فى النادى ، ولكن بعد منتصف الليل
فتألقت عيناها وقالت
-- اذن نحن ذاهبان الى ناديها
فضحك وقال .
-- انها تغشى منتديات كثيرة
-- انى لاأجيد الرقص
-- ولكنى سأراقصك
وأجالت بيرنى بصرها فى جوانب المرقص المزدحم وقالت .
-- آه ماأجمل ، وما أبدع !
وارتعدت وكان الرجل متأبطا ذراعها فنظر فى وجهها وقال .
-- ماذا ، أراك ترتعدين ؟
-- لاتنس أنى فتاة ريفية - نجلس قليلا ثم نرقص
ولما هدأت نفسها رقصا فدهش الرجل من رشاقتها وقال .
-- أنت ترقصين رقصا بديعا
فافترت عن در نضيد وقالت .
-- أحقا ماتقول ؟
فأحنى رأسه ، ولما رأت الفتاة الانظار متجهة اليها اهتزت اهتزاز الزهرة طلها الندى وشعرت بغبطة
وجلسا الى مائدة صغيرة بعد أن رقصا شوطين وطلب روبرت طعاما خفيفا ثم سأل بيرنى عما إذا كانت تريد أن تحتسى كأسا من النبيذ فهزت رأسها وشكرته
ورأى روبرت شابا شاحب الوجه حزين النظرات واقفا أمام نافذة فأشار اليه وقال .
-- هيرست ، هيرست ، تعالى !
فاسرع الشاب الى المائدة وأحنى رأسه فقال روبرت .
-- اجلس معنا !   والتفت الى بيرنى وقال .
-- صديقى جيرالد هيرست   ونظر الى الشاب وقال .
-- الآنسة ليرنجتون كريمة المرحوم السير هنرى ليرنجتون
ثم ابتسم وقال للشاب .
-- اجلس ، وسترى قريبا الليدى ليرنجتون
فاحمر وجه هيرست وجلس ، وبعد أن تأمل وجه بيرنى قال .
-- أتحب الآنسة أن تحتسى شيئا من الشمبانيا ؟
فهزت رأسها وقالت .
-- كلا ، أشكرك
وضحكت وقالت .
-- ذقت الشمبانيا مرة واحدة ، وكان ذلك فى حفلة أقامها المستر كرسبن ولما ارتشفت الرشفة الاولى

مجتها نفسي وسعلت طويلا   قالت ذلك وضحكت فضحك الرجلان

وراح الشاب يجالس بيرني النظر ويعجب من حسنها وطهارة نفسها ؛ وذكر وهو يتأملها شقيقتيه، وأدرك أن الفرق عظيم جدا بينها وبين المرأة التى هام بها حبا ، ولما تذكر الليدى قال .

ـــ أخشى أن أكون قد أغضبت الليدى ليرنجتون دون أن أشعر ، وعدتنى بان تقابلنى هنا فى العاشرة وها قد انتصف الليل وهى لم تحضر

وطفق روبرت ينظر الى الباب وهو يقول لنفسه . أن الارمل أبطأت وكم أود أن تحضر الآن لترى صديقها وهو يحادث بيرنى ، وابتسم ، ثم قال للشاب .   ـــ ان الانسة ليرنجتون تحذق الرقص حذقا نادرا

فاحمر وجه الفتاة وبدت الحيرة فى وجه الشاب ، ومد بصره الى الباب ثم تلفت حوله وقال .

ـــ أتتكرم الانسة بمراقصتى ؟   فوقفت بيرنى فسار بها هيرست الى وسط المرقص

وقال روبرت لنفسه : اقدمى ياليدى ليرنجتون وانظرى مايقطع قلبك حسرات

وفرغ الشوط فعاد الصغيران إلى المائدة وقال هيرست .

ـــ مارأيت رقصاً أبدع من رقصها !   وتنهدت وقال .

ـــ ان الليدى ليرنجتون ابطأت طويلا ، وقد عرفت اليوم انها تطارد رجلا من أرباب الثراء الطائل ، ولكن لعلها اشاعة كاذبة

وفجأة دخلت الليدى بين جماعتها ،وماوقع بصر بيرنى على وجه الارمل حتى ادركت تماما انها لم تخطىء فى اعتقادها بأن صوفى تمقها وتغار منها

الفصل الخامس

قالت مدام ويلس لبعلها ذات صباح .

ـــ ارجو ألا تكون مدام استامبورت مريضة ، انها لم تحضر الصلاة امس ورأيتها منذ يومين شاحبة وشديدة القلق على مستقبل ولدها تيد . هى تروم ان يعمل فى الحانوت الذى خلفه والده وهو يدعى انه خليق ان يكون أديبا

ـ ان قلق العجوز على بيرنى أشد من قلقها على ابنها

فاطرقت زوجة الراعى المحترم ، ورأت بعين الوهم مدام استابورت الواجمة الحزينة ابدا ، وذكرت ما سمعته منها أخيرا ، والواقع ان بيرنى نسيت الاصدقاء القدماء ولكن العجوز ماأشكت ذاك الاغفال

عفا الله عن بيرنى وسدد خطاها إلى ما فيه خيرها وفلاحها ، لقد نثرت الوعود الحسان نثرا

علاج السيلان

بالدياترمى — ازالة الآلام

فى ٢٤ ساعة

بعيادة الدكتور برهان

شفاء مدمنى المخدرات فى خمسة

أيام بدون ألم

طريقة « ديمورفين »

المستشفى بميدان العتبة . فوق قهوة

النيل رقم ٣

قبل سفرها ، وملأت القلوب بالاماني العذاب ، فقالت انها ستنحدر الى القرية في كل اسبوع وانها ستكتب الى المرأة التي كفلتها رسالة في كل يوم ، ولكن شيئا من ذلك لم يحدث ، نعم بعثت برسالة كل صديق وصديقة لها في القرية ثم كفت عن الكتابة دفعة واحدة وكأنها لم تقض في ربوع القرية اعواما ما كان احلاها !

وقد عرفت مدام ويلس من كريمتيها ان بيرني اشرقت في سماء لندن كما يشرق النجم الوهاج ، وأن صورها ملء المجلات والصحف ؛ فهل انساها الشباب والفراغ والمال اصدقاءها

ارتحلت بيرني لندن ، وما أقامت بها ساعات معدودة حتى ارسلت الخطابات التي تفيض حبا وعطفا إلى القرية ولكن الساعات صارت اياما والايام احتوت اسابيع ومدام استامبورت تذوب شوقا إلى رسالة من بيرني وتتمنى ان لو تراها داخلة عليها فجأة كما وعدت مرارا ولكن بدون جدوى

وعاد القس يقول . — ان قلق العجوز على بيرني أشد من قلقها على ابنها

فرفعت الزوجة رأسها وقالت . — سأذهب الى كوخ العجوز .

فوقف القس وقال : — ستجدينها باذن الله في صحة

واستقبلت مدام استامبورت الزائرة بقولها — مرحباً بمدام ويلس ، كيف سيدى الراعى ؟

-- في اتم عافية بحمد الله ثم جلست وقالت .

— ان الجسم سليم غير انى احس تعبا وتنهدت ثم قالت .

— وكأن في قلبي شيئا يغريني بالبكاء دائما ، وكنت من قبل جامدة الدمع ، وتيدى ؛ غفر الله له ، يتصرف تصرفا أراه غير حميد وصعدت زفرة وقالت :

— ماضره لو ادار الحانوت التي خلفه ابوه ! — وما اخبار بيرني ؟

فشحب وجه العجوز ولم تحر جوابا ثم تكلمت بعد برهة فقالت :

— اتعرف انها تتمتع بصحة جيدة ، وقد بعثت إلى بنقود كثيرة فرفضتها انى لا اريد يا مدام ويلس نقودا بل عطفا وحنانا ، انى لا اعرف مدينة لندن ولا اعرف كيف تعيش الفتاة فيها غير انه بلغني انها تغيرت بعدنا ، وقد احصيت ليلة امس ايام النوى فالفيتها اربعة اشهر وخمسة ايام ؛ اربعة اشهر وخمسة ايام لم أر فيها يامدام ويلس حبيبتي بيرني ، نعم انها تغيرت بعدنا ، وكنت اظن ان طبيعة كل شيء قد تتغير قبل ان تتغير بيرني ، اتعرفين انى لم اتسلم منها في غضون تلك الاشهر سوى رسالة واحدة ، اى وربى رسالة واحدة ، انى لا اشكو وانما هي زفرة ارسلها بين يدى صديقة كريمة ، ثم هي ، يامدام ويلس ، لم تكتب إلى الآخرين ، وقد التقيت اول امس بروجر كيريتون فسألني عن انباء بيرني واخبرني بان جده العليل يهتف باسمها صباح مساء ، ان المال هو سبب هذه الكارثة ، واية كارثة ادهى وامر من ان تحرم القرية من شخص بيرني وحنانها ؛ ولولا المال لما نسيتنا الفتاة

احمد الله على انى وجدتك في صحة جيدة ، وما أرجوه منك الآن هو ان تقللي من جزعك ، وان كانت بيرني قد تغيرت فانها ستعود ؛ بعد زمن قصير إلى ما كانت عليه ، ثم ان الذهب لا يتغير يامدام استامبورت وان كان يتشكل ، وبيرني كالذهب ، سترجع يوما الينا وسترينا من عطفها ما ينسينا الم النوى والاغفال

فعصرت مدام استامبورت احدى يديها بالأخرى وقالت :

— فكرت أكثر من مرة في أن اركب إلى تلك المدينة التي اسمها لندن لأرى كيف تعيش ابنتي في ذلك الجو الجديد غير ان الضعف

فعلا بي ؛ ولكن لو سافرت أنت أو احدى كريمتيك . ..

فقاطعتها زوجة القسيس بقولها .

ـــ ان شؤوننا المالية فى الوقت الحاضر ، لاتمكننا من زيارة العاصمة ، ثم أن ابنتى ايرين ستتزوج قريبا

ـــ ومتى ستتزوج ؟

ـــ قبل عيد الميلاد باذن الله

فشاع الأمل فى وجه العجوز وقالت .

ـــ قد تفكر بيرني فى حضور حفلة الزفاف فأراها

ـــ انا سندعوها ، وستحضر مافى ذلك من ريب

ـــ أراد ولدى تيد أن يسرنى ويزيل همومى فاخبرنى بانه سيسافر الى لندن لبعض شؤونه وسألنى عما اذا كنت أريد من بيرنى شيئا ، فقلت . لا ، وحذرته من الدنو منها

ـــ أه ، ولماذا ؟

ـــ وأين نحن منها ، وقد يخجلها بين أترابها أن يتقدم تيد نحوها ويصافحها

ـــ لا ، ان بيرنى تحبنا وتفخر بصداقتنا

ـــ نعم ولكن اترابها وأصدقاءها لايفخرون بامثال ولدى

ـــ أنت واهمة ياعزيزتى ؛ طاب يومك !

قالت ذلك وصافحت العجوز ثم خرجت وقبل أن تبلغ الابراشية التقت بابنتى ترنت ، وكانت تعلم أنهما من محبات الفضول فحرصت على ألا تكتم عنهما ماتكابده مدام استامبورت من الشجن والهم ، وصافحتها وهمت بالمسير غير أن أجاتا استوقفتها بقولها .

ـــ لو عرفت يامدام ويلس ماتصنعه بيرني فى لندن لقف شعرك ولاستعذت من الشيطان الرجيم ، انى لاالقى الكلام جزافا ولا أشيع الاكاذيب والاراجيف ، وفرنسيس ابنة أخى لا تعرف الكذب ، وقد كتبت الينا من لندن بأن بيرنى ليرنجتون تحيا فى العاصمة حياة غير مشرفة وتعاشر رجال ونساء لاكرامة لهم ولا احترام ، وهى لاتسير الا وهم خلفها وكأنهم بطانتها ، آواه ، من يصدق أن بيرنى تتغير هكذا ولا يمض على اقامتها فى لندن سوى أربعة اشهر ! فعبست زوجة الراعى الفاضل وقالت : ـ لاتصدقى ياأجاتا كل مايقال !

ـــ ان معاشرة أهل السوء تعدى وكل لندن تعلم أن الايدى ليرنجتون ذات سمعة سيئة فلا بدع ان حذت بيرنى حذوها ـ ان بيرنى فتاة فاضلة مهذبة ... فقاطعتها أجاتا بقولها

ـــ كانت فاضلة مهذبة فى القرية ـــ وفى لندن وفى أى مكان آخر ؟

قالت ذلك وواصلت السير دون أن تصافح الشقيقتين وفى المساء ذكرت مدام ويلس لبعلها الحديث الذى جرى بينها وبين مدام استامبورت ، وكانت بيرنى فى نفس هذا الوقت جالسة الى مائدة صغيرة فى أحد مطاعم لندن وقبالتها صديقها المستر روبرت باسيلدون ، وكانت تقول وهى تعبث بملعقة صغيرة .

ـــ هل عرفت أنى استأجرت لنفسى شقه فى شارع جروزفينور ؟

فدهش باسيلدون وقال :

ـــ كلا ؛ وهل انتقلت اليها ، والشرط الذى اشترطه والدك ؟

ـــ فى الواقع ياعزيزى أنى كرهت الليدى ليرنجتون بعد أن عرفت أنها امرأة حقيرة خبيثة ، وبعد أن عرفت أنها تمقتنى وتغار منى وقد فكرت فى النقلة طويلا ثم ذهبت الى المستر جفرسون رئيس المسجلين وأطلعته

على رغبتى وسألته أن يجد لى وللبدى ليرنجتون مخرجا من ذلك الشرط فراجع الوصية ثم أشار بأن في ميسوري أن أزعم أن أعصابى المضعضعة فى حاجة الى الهدوء الذى لا أجده فى صرح الليدى ، وأن الأطباء نصحونى بأن أسكن ، ولو بضعة أشهر ، دارا فى حى هادىء لا ضوضاء فيه ولا حركة عنيفة

-- وهل اذا انتقلت تحرم الليدى من المبلغ

-- كلا ، ومما زين لى الانتقال أن الليدى ترهقنى دوما بما تقترضه منى ولا ترده على

فتأملها الرجل وقال . -- يؤلمنى ياعزيزتى أن أراك شاحبة الوجه مقرحة الجفون من السهر الطويل

-- أنا يامستر روبرت أنك لا تقر الحياة التى أحياها

-- نعم وحبذا لو ...

فقاطعته بقولها :

-- ان الفنانين البؤساء الذين أعاشرهم فى حاجة الى عطفى وكرمى ثم انى أحبهم نساء ورجالا ويسرنى أن أكون بينهم دائما

-- ولكنك تفسدين مالك وصحتك

-- ان مالى وفير وصحتى جيدة

فتنهد وقال ليرسل الحديث فى مجرى آخر :

-- وهل عرفت الليدى ليرنجتون انك ستسكنين بعيدة عنها ؟

-- نعم ؟

-- وماذا قالت

-- لم تقل شيئا حين عرفت أن انتقالى لن يحرمها من المبلغ الذى أفرده أبى لها اذا عشت معها

-- وبماذا عللت انتقالك؟

-- قلت لها فى صراحة انى أكره بيتها وأصدقاءها والحياة التى تحياها فثارت وأبرقت وأرعدت ثم ضحكت وقالت :

-- حتما أن لندن غيرتنى ولكنى لم أزل بحمد الله أفضل من الليدى ليرنجتون ألف مرة

-- انى أعلم انك أطهر من زنبقة الجبل ، ولكن الناس ...

فقالت مقاطعة :

-- ليقل الناس ما يحلو لهم وحسبى أن أعرف انى فوق اشاعاتهم

فقال الصديق المخلص :

-- أتمنى ان تكفى عن غشيان المنتديات الليلية والاختلاط بأولئك الفنانين المفلوكين الذين يسلبونك أموالك

-- انهم ما سلبونى أموالى ، بل أنا التى اغدقها عليهم

-- لماذا لا تقضين أسابيع فى الريف الذى قدمت منه ؟

فتغير وجهها وقالت :

-- حبذا ما تقول غير انى لا أستطيع ، وماذا أقول لهم بعد ان أهملتهم طويلا ، ولا شك فى انهم سمعوا الاشاعات التى أرسلها أهل السوء هنا

وصعدت زفرة وقالت :

-- الله يعلم انى فتاة شريفة طاهرة الذيل

وساد صمت طويل قطعه الرجل أخيرا بقوله :
-- أتذكرين يوم احتسيت الشاى فى غرفة مع أختى وكريمتها ؟ - نعم
-- ألم تكن هناك سيدة عجوز جالسة فى أحد الأركان ؟
-- نعم ، وكانت مطرقة قليلة الكلام وقد نسيت أن اسألك عنها
-- انها تدعى أوجستا ميرفين ، وما جاءت الى غرفى ذلك اليوم إلا لتراك - لتراني أنا ؟
-- نعم ، وأحسب أن بينها وبين أبيك قرابة - ولكنها كلتنى
-- ربما كرهت أن يسمع حديثكما أحد ، وقد كتبت الى منذ يومين ، أتريدين ان تقرأى رسالتها ؟
واخرج من جيبه رقعة صغيرة وقدمها اليها فقرأت :
« أرجو ان تطلعنى دائما على كل ما تصنعه تلك الفتاة »
(ا - م)
ولم تر بيرنى عنوانا ولا تاريخا ، وقالت : ليتنى لاطفتها ولو بكلمة ، ثم ابتسمت وقالت :
-- ان شغفى بأختك شغلنى عن تلك العجوز المسكينة
ومارى شغفت بك أيضا من النظرة الأولى ، لماذا لا تزورينها ، ان لها بيتا صغيرا لطيفا وهى امرأة ذات صبر وإيمان ، وقد افقدتها الحرب كل ما كانت تحبه غير انها استطاعت ان تعيش ، وكنت أظن انها ستموت بعد مصرع ولدها . ثم قال برهة : - لماذا لا تزورينها
-- قد لا يسرها أن تزورها فتاة تتحدث عنها الصحف .
-- ألم تقرأ ما نشرته عنى أخيرا إحدى المجلات ؟
-- كلا - وماذا قالت ؟
-- رمتنى بتهم كاذبة .
والقت نظرة على الساعة الكبيرة المعلقة على الجدار وقالت .
-- يجب أن أقابل الآن ميتى ميراندا
-- الراقصة الصغيرة ؟
-- نعم - ألا تعلم أنى قدمت اليها أخيرا خدمة صغيرة ؟
-- كلا - وماذا صنعت ؟
-- اتفقت مع صاحب أحد المنتديات الليلية على أن يتعاقد معها على أن ترقص فى ناديه بمرتب حسن
-- وهل تعاقد معها ؟
-- نعم - وستبدأ عملها الليلة - هل تأتى معى لترى رقصها ؟
فابتسم وقال :
-- كلا - أشكرك
وبعد دقيقة استقلت بيرنى سيارتها وأمرت السائق بان يمضى الى حيث تسكن الراقصة الصغيرة - ووقف روبرت على أفريز الشارع يتبع السيارة ببصره حتى ابتلعها الظلام والزحام ثم تنهد وسار مطرقا مفكرا كان يفكر فيما سمعه من بيرنى - سره أنها ستعيش بعيدا عن الارمل اللعوب وكان أخوف ما يخافه أن تسلك الفتاة الطريق المعوج الذى سلكته الليدى - نعم أن بيرنى ترقص وتختلف الى المنتديات الليلية وتدخن وتحتسى كأسا أو كأسين وتتلف مالها غير أنها فتاة طاهرة شريفة كما قالت أمامه منذ دقائق
وقد بلغ من اهتمام روبرت باسيلدون بمس ليرنجتون - أنه كتب منذ شهرين رسالة رقيقة لطيفة الى المحترم

يلس راعى كنيسة القرية يخبره فيها بانه من أصدقاء بيرنى المخلصين وأنه يسهر على سلامتها فى مدينة لندن ثم سأله أن يكتب اليه عن أيام الفتاة فى القرية فرد عليه القس الصالح بان الفتاة ذات أخلاق قويمة وصفات حميدة وان خلالها الكريمة اسرت قلوب أهل القرية ، ففرح روبرت باسيلدون بتلك الانباء فرحا شديداً ولا سيما بتلك الجملة التى ذيل بها القس رسالته قال :

وأعلم يا سيدى أن بيرنى مثل معدن الذهب الذى قد يعلوه الصدأ الا ان جوهره يظل سليما براقا ـ أقول وهذا ردا على الاشاعات الكاذبة التى تترامى الى القرية .

وكان يسر روبرت أن يرى الفتاة دائما غير أنه خشى ان تفطن الليدى ليرنجتون الى اهتمامه بها فتتقول عليهما الأقاويل ولذلك لم يكن يزور صرح الليدى الا فى الفلتات

والليلة وقد أخبرته بيرنى بانها ستسكن بعيدا عن ارملة أبيها فانه يستطيع ان يزورها كثيرا ويقدم اليها النصائح عسى ان يرجع عن غيها .

ولم يكن روبرت يجهل ان الفتاة تجله وتوده وتنظر اليه نظرة المرء الى شىء قوى ثابت لا يخذل ولا يغدر ولا يخون ـ ولم يكن يجهل أيضا انها لا تعلم انه يفكر فيها كثيرا

وقد شرع روبرت ، فى عنفوان شبابه ، فى الزواج غير ان القدر جرى بأن تموت الفتاة التى خطبها الى نفسه ، وقد توفيت فجأة عقب رجوعها من سياحة فى الهند . ومنذ ذلك اليوم لم يفكر روبرت فى الزواج ولم يشعر بميل الى أية امرأة غير انه ما رأى بيرنى مرارا حتى علم انها حركت قلبه ومشاعره اكثر مما حركته الفتاة التى خطبها منذ سنين .

وذكر روبرت وهو يسير مطرقا الى بيته ما ذكرته له بيرنى منذ اسابيع ـ قالت . ان جيرالد هيرست وان كان من اظرف اصدقاء الليدى ليرنجتون الا انه سخيف عنيد : سألنى مرارا ان اتزوج منه فرفضت وجاءنى امس يقول انه مسافر الى جنوبى امريكا بعد ايام غير انه مستعد للعدول عن السفر ان قبلت به زوجا فضقت به ذرعا . وافهمته انى لا احبه ولا احب ان يطرق موضوع الزواج مرة أخرى فخرج من قاعة الاستقبال يتعثر فى اذيال الفشل .

ذكر روبرت هذا الحديث فاطمأن قلبه وقال . أن ما صنعته بيرنى يدل على انها تحتقر كل الرجال الذين يسيرون فى ركاب الليدى ليرنجتون وان الحب لم ينفذ بعد الى قلبها

وفى هذا الوقت الذى كان فيه روبرت يفكر فى بيرنى كانت هى فى نادى المسيو لورنسو تشكر له تعاقده مع ميتى ميراندا وتقدم اليه شابا يدعى فريدى وتقول .

ـ وهو من امهر الراقصين يامسيو لورنسو ويسرنى جدا ان يعمل فى ناديك :

الفصل السادس

انتهزت بيرنى سفر الليدى ليرنجتون الى الليدو وانتقلت الى مسكنها الجديد فى شارع جروسفينور وما اطمأنت بها الدار يومين حتى تسلمت من مدام ويلس رسالة أحزنتها وأمضتها

كتبت زوجة الراعى تقول بعد بث الاشواق :

« . . . ومن أخبارنا أن أم روجر خلفت ضيعة كليب فجأة ويقال أنها ستتزوج من رجل يدير فندقا فى مدينة قريبة ، وأن الشيخ سيمون كيرتيون على شفا الهلاك . . .

وبكت بيرنى الشيخ بكاء مراً غير أنها لم تفكر فى الذهاب الى ضيعة كليب لتتزود منه بالنظرة الأخيرة

وما معها عن الذهاب الا خوفها من أن يوجه اليها نظرة عتاب أو كلمة تأنيب ، وكانت تعلم أن له ان يعنفها ويزجرها ، وهي تطيق كل شيء إلا أن تراه غاضبا عليها

وبعد اربعة ايام ورد خطاب آخر من مدام ويلس ، نعت الشيخ سيمون ثم وصفت جنازته والحزن الذى استولى على القرية ثم قالت .

« . . . ونسيت ان اقول ان المسكين لفظ انفاسه الاخيرة وهو نائم ، واننا عرفنا من يومين ان ام روجر تزوجت ومعنى ذلك انفصال ولدها عنها انفصالا دائما ، وقد حاول روجر ان يعيدها الى الضيعة عقب ان خلفتها الا انها رفضت . ومع ان زوجها الجديد فى سعة من الرزق الا انها عهدت الى احد المحامين بأن يبيع الضيعة باسمها ولا شك فى ان روجر سيعاني ازمة شديدة ولا أخالك تجهلين انه لا يملك من الضيعة الا شيئا قليلا جدا ، هلا كتبت ياعزيزتى الى روجر كلمة عزاء ، وارحمتاه له ان المصائب حلت بها تباعا . . »

وبكت بيرنى ما شاء الله ان تبكى ثم جلست مطرقة تنشج وفجأة سنح خاطر فى رأسها . لماذا لا تركب من فورها الى ضيعة كليب لتعزي روجر وتقدم اليه ثروة صغيرة

وكانت متعبة من سهرة ليلة أمس الا أنها اعتزمت السفر ، ودخلت وصيفتها تقول أن السير باتريك يسأل عن مولاتى فى التليفون — قولى للسير باتريك أني غير موجودة !

ولما خرجت الخادم غمغمت بيرنى تقول . لن يجن ذلك الشاب من غروره الا الندم والتعب

وبعد ربع ساعة كانت سيارتها تطير بها الى القرية التى نشأت فيها ولم تذهب الى كوخ مدام استامبورث ولا الى الابراشية بل الى ضيعة كليب وامرت فوقفت السيارة على كثب من الضيعة ثم نزلت وسارت الى حيث يقيم روجر ، وفكرت وهى تسير بين الاشجار التى عرفتها واحبتها والمناظر التى عشقتها والفتها ايامها المواضى وصديقها الشيخ ونظرت الى معطفها الثمين وقالت ، كان يجب أن احضر فى ثياب رخيصة تنسجم والريف

ومرت بعامل يحمل ماء الى خنازير فى حظيرة قريبة فوقفت وسألته

بقولها . أين أجد المستر روجر كيرتيون ؟ — تجدينه ، ولاريب ، فى البيت ، وانى لم أره اليوم كان الله للمسكين لقد توالت عليه نكبات الزمان ولم ينتفع بالعيش بعد وفاة جده

فاضطربت بيرنى وسارت الى البيت ، وكانت تعرف مداخله ومخارجه وغرفه كما يعرف الانسان جيوب ثوبه دفعت البوابة ذات الصريف الشديد . ثم تقدمت فى الفناء ذى الاشجار الباسقة وانعطفت نحو الشمال وفتحت الباب الذى فتحته مرارا فى زيارتها للشيخ ثم سارت فى الدهليز الطويل وتيامنت لتصعد الدرج الخشبى وما صعدت الدرجة الاولى حتى رأت روجر كيريتون على رأس الدرج وكان يحمل صندوقا كبيرا من الورق المقوى قد ملىء ورقا . ووقف الشاب بعد أن هبط درجة واحدة وقف جامدا عابس الوجه

وارتعدت الفتاة وكانت تعلم ما فى خلق روجر من خشونة ووعورة ، واهى مانسيت بعد أن كان يغاد منها كلما رأى جده يعطف عليها وأدركت من نظراته القاسية أنه حياق عليها ناقم ، لاريب أن انباء طيشها فى لندن قد بلغته ، وأنه يرميها بالجحود ونكران الجميل ، ألم يهتف الشيخ باسمها صباح مساء قبل موته ؟

وندمت الفتاة على قدومها ووقفت مرفوعة الرأس تحدق بوجه الشاب ، وكان هو أول من تكلم ، قال

— ماذا تصنعين هنا ؟ فصعدت الفتاة درجتين ثم وقفت وقالت . — روجر .. لم أعرف الا اليوم فركبت من فورى البكم ومدام ويلس هى التى أخبرتنى فضحك ضحكة قصيرة كانت أشبه بسوط على رأس الفتاة وقال

— لقد جئت متأخرة ياسيدتى ، وكان حريا بك أن توفرى على نفسك مؤونة السفر

فقالت بتوسل . أى روجر ، لا تكن قاسيا على ، انى أعلم أن لك أن تعنفنى ، وبودى ان ابدى اعذارى

غير أنى لاأقدر وتنهدت وقالت . أنت تعلم ياروجر انى كنت أحبه ... كنت أحبه حبا عظيما ثم قالت وكان رحمه الله يحبنى . فهز الشاب رأسه وقال . ليته ، ياسيدتى ، ماأحبك ولاعرفك ... أنت تحبينه .. حقا لقد اثبت بصنيعك مبلغ حبك له !

وهبط درجة ثم وقف وقال بغضب .

ـ ان فى مقبرة القرية ياسيدتى قبرا يضم اشرف واكرم واعظم رجلا عرفته ، وكان هذا الرجل يسأل عنك إذا ما سمع حفيف ثوب أو صريف باب أو صوتا ناعما ، وجعل يسأل ويسأل ويسأل أسابيع،ولما أدركته الوفاة وسألناه عما يريد لم يطلب ماء ولا طعاما ، ولم يطلب أن يرى حفيده بل طلب الآنسة بيرنى ليرنجتون وكانت الآنسة بيرنى ليرنجتون فى ذلك الوقت تمرح وتلعب فى لندن ، وربما كانت ترقص وتضحك فى الوقت الذى لفظ فيه الشيخ أنفاسه الاخيرة ، وكانت الانسة بيرنى ليرنجتون تعلم أن الشيخ طريح الفراش وأنه يقترب من يومه الاخير ، كانت تعلم ذلك إلا أنها لم تزعج خاطرها بالقدوم الى فراش العليل الذى أحبها أكثر مما أحب حفيده ، لماذا جئت ياسيدتى ، وماذا تريدين منا ؟ . وكان الشاب يتكلم وبيرنى تبكى فى صمت ، وكفكفت دمعها بيديها وقالت : روجر ، روجر ، حسبى العذاب الذى أعانيه فارحمنى ، روجر ، قل كل ماتريد أن تقوله

— لم يبق عندى ماأقوله ياسيدتى . — جئت ياروجر لأقدم عزائى ولاساعدك ان استطعت

فصاح كالمجنون . جئت لمساعدتى ، وماذا تستطيعين أن تصنعى لى

وقال ذلك وهبط درجتين ثم وقف وقال بانفعال :

— لعلك تريدين أن تمنحينى شيئا من المال ، ها ، ها ، ها ، لعنة الله على مالك ، لا ياسيدتى انى فى غنى عن مالك وكرمك وحسبنا ما لاقيناه منك

— كان الشيخ رحمه الله يذوب شوقا الى اسطار منك غير انك ضننت بها عليه فمات محسورا محزونا ملتاعا والآن تعرضين على مالك ، لا ، ليس فى مقدورك الان ولا فى مقدور أى انسان آخر ان يمحو اساءتك لاينسينى ما تعذب به جدى بسببك ، لقد تكلمت فتكرمى بمغادرة هذا البيت . وقد ان احتمل منك القسوة ولكنى لا احتمل منك النفاق ، انى أحتقرك لنفاقك فاخرجى قبل ان اسمعك أشد مما سمعت

قال ذلك وهبط الدرج ومر بها دون أن يلتفت اليها ، وانثنت فرأته يدخل الغرفة التى كانت لامه ويوصد الباب خلفه . وشعرت الفتاة بما يشعر به الذليل المهان وخجلت من نفسها وندمت على المجىء ، ووقفت طويلا تفكر تتنهد وخلفت البيت وبينما هى تسير رأت العجوز التى كانت تخدم مدام كيريتون فنادتها وقالت :

— كيف الحال هنا ؟ فصعدت الخادم زفرة وقالت . آه ، سيدتى بيرنى ، ما أشد شوقى اليك

وصافحتها ثم استتابت تقول : ـ لقد ساء الحال وخشن العيش وتفرقت الاحبة وتغير كل شىء ، وقد طردنى المستر روجر بعد جنازة الشيخ رحمه الله ، نعم طردنى بقوله انه لم يبق له ما اصنعه فى بيته ، وغبت يومين ولكنى قررت ان أراه اليوم وانا الان فى طريقى للبيت ـ وقد يكون المسكين فى حاجة الى من ينظف غرفته أو يطهى طعامه أو يرفو ثوبه ، آه ، ان المستر روجر لم يذق طعاما منذ توفى جده فمن يصدق ان الرجل لا يأكل يومين كاملين . وماذا سيصنع المستر روجر ؟

ـ لا أدرى ، وقد اصبح فقيرا بعد ان استولت أمه على ثروتها

ـ اسمعى يا مدام ميلث ، ارجو ان لا تخبرى احدا بانى زرت ضيعة كليب

ـ هل زرت مدام استامبورت ؟ فاربد وجه الفتاة واجابت قائلة : كلا سأزورها فى يوم آخر . وآل ويلس ؟

ـ سأزورهم فيما بعد ، وكان قدومى اليوم لتعزية روجر والاطمئنان عليه ـ وهل قابلتيه ؟

– نعم ولم اسمع منه الا زئير الاسد – اعذريه يا سيدتى ان المصائب التى رمى بها اخيرا هدت اعصابه
– صدقت ولا اكتمك انى ما احببت روجر قط غير انى أروم ان يعيش سعيدا فريد العين ، وقد ساءنى انه اصبح فقيرا – ولكنه لم يزل صاحب البيت وسمعت انه سيبيعه – فاخرجت الفتاة من حقيبة يدها رزمة صغيرة من الورق النقدى دستها فى يد الخادم العجوز ثم قالت – لا تخبرى روجر بانى اعطيتك شيئا
– آه ، وماذا اصنع يا سيدتى بهذه الثروة الكبيرة ؟ خذى منها مرتبك المتأخر وابتاعى ما ينقص البيت من طعام وان وجدت داتنا يرهق روجر فوفى دينه دون ان يعلم الشاب المتكبر
– اخشى ان يعلم المستر روجر انى اخذت منك نقودا – انه لن يعلم فاطمئنى
ثم صافحت الخادم العجوز وقالت . اكتبى الى دائما ولا تبخلى على باخبار روجر ، وعنوانى معروف لدى الابراشية ، طاب يومك ! قالت ذلك واسرعت الى حيث تركت سيارتها ، وبعد دقائق كانت السيارة تدرج فى طريق لندن – وجلست بيرنى فى ركن المركبة تفكر فى الحديث الذى دار بينها وبين روجر ؛ وفى الالام التى انتابت الشيخ لانقطاع ابنائها عنه نعم هى الام نفسيه ولكن من ينكر إنها اشد الالام وأفظعها واقساها

الفصل السابع

ولما فتحت بيرنى باب شقتها سمعت ضحكا فى قاعة الاستقبال فسارت على اطراف اصابعها إلى مخدعها ثم ضغطت زر الجرس ولما اقبلت وصيفتها سألتها بقولها من الذين فى قاعة الاستقبال ؟
– بعض اصدقائك وقد أبوا إلا ان ينظروا عودتك وامرونى فاحضرت اليهم سجائر وكوكتيل وطعاما خفيفا ، وهم يقصفون ويعربدون منذ ساعتين
فاظلم وجه بيرنى وقالت : – لاتخبرى احدا بانى حضرت ، انى متعبة جدا ولا اريد ان اراهم لا اليوم ولا فى اى يوم آخر ، ومن هم ؟
– ميتى ، والسير باتريك ، ومس كلوكسون العجوز وثلاثة رجال لا اعرف اسماءهم
– قولى لهم انى عدت محمومة ولايمكننى ان ارى احدا !
– ولما همت الخادم بالخروج استوقفتها بقولها : احضرى طعاما خفيفا
ثم اخرجت من حقيبة يدها ورقة قيمتها خمسة جنيهات وقالت :
– ضعى هذه الورقة النقدية فى غلاف ثم قدميه إلى مس كلوكسون اثناء خروجها وقولى أنهـا رسالة منى ، ان الفنانة المسكينة لاتملك فى معظم الاوقات قوت يومها ، كان الله لها
ولما خرجت الخادم اوصدت بيرنى الباب بالمفتاح ومافعلت حتى سمعت اصوات اصدقائها وراء الباب وجعلوا يطلبون ان يروها والح السير باتريك فى ذلك الحاحا شديدا غير ان الفتاة لم ترد عليهم وسارت على اطراف اصابعها إلى الفراش وجلست ترهف السمع ، وقال السير باتريك راشندن
– كفى ايها الاخوان ، انصرفوا ان صديقتنا متعبة
فسمعت بيرنى الفتاة ميتى ترد عليه بقولها .
– انها محمومة لامتعبه ولذلك سأنصرف خوفا من العدوى
قالت ذلك وانفجرت ضاحكة ثم قالت .
بيرنى ، انى ذاهبة ولا اكتمك انى لم اعجب اليـوم بخمرك وطعامك وبعد برهة انصرفوا جميعا إلا باتريك راشندن إذ ظل واقفا بالباب يقول . اريد ان اطمئن عليك يا برنى

ولما لم يسمع صوت بيرنى قال . شفاك الله يابيرنى ، انى منصرف

وكان السير باتريك شابا مليح الصورة لطيف الشمائل كريم الخصال ، وقد خطب بيرنى إلى نفسه أكثر من ثلاث مرات غير انه لم يفز منها بطائل ومن الغريب ان الرفض لم يزده إلا إملا وكانت بيرنى توده لأدبه غير انها كانت تكره منه حبه لنفسه وكسله ، وقد حدث ذات يوم أن رأته مطرقا حزينا فسألته عما به فضحك وقال . — الافلاس يابيرنى . فعرضت عليه قرضا صغيرا فاحمر وجهه خجلا وشكرها ثم قال

— ما اقترضت من احد قط — ولكنى صديقتك ، بالله لا ترفض مقترحى

فاخذ المبلغ شاكرا ومنذ ذلك اليوم وهو يقترض من بيرنى من وقت لآخر

وفكرت بيرنى فى هذا الحديث وهى تأكل بعد انصراف اصدقائها ، ولما فرغت من الطعام جلست تفكر فى روجر وشقائه واحزانه ، وسنح خاطر فى رأسها فعمت تقول . ان مكتبة سيمون كيرتون نفيسة فلماذا لا ابتاعها واكبر ظنى ان روجر فى غنى عنها ويسره ان يتخلص منها ولاسيما إذا قدمت اليه مبلغا كبيرا ولكن هل يقبل ان يبيعها لى سأكتب إلى مدام ويلس ؟

وكتبت إلى زوجة الراعى الصالح من فورها قالت .

« . . . وحبذا لو تكرم المحترم المستر ويلس بمعاينة مكتبة الشيخ سيمون كيرتيون ، وسؤال المستر روجر عن الثمن الذى يريده فيها . . . »

وفى صباح اليوم التالى زارها السير باتريك فاستقبلته بما عهد فيها من بشاشة ورقة ؛ وضحك الشاب وقال وهو يجلس ،

— أراك اليوم راضية عنى ، فضحكت وردت عليه قائلة : — انى راضية عنك دائما

وقدمت اليه سيجارة وجلست قدامه فى قاعة الاستقبال ثم سألته بقولها : لماذا طلبت أكثر من مرة أن تتزوج منى — لماذا ، لأننى مفتون بك؟ — أنت مفتون أبدا بكل فتاة تلتقى بها — أنا ؟

— نعم ، أنسيت الفتاة التى طاردتها حينا — الفتاة السمراء التى انتظمت أخيرا فى سلك كواكب السينما ، وهل نسيت الليدى هيلين — الارمل الحسناء — وهل نسيت الفتاة الاسترالية التى زعموا انها ورثت نحو مليون ؟

— لقد نسيتهن جميعا — وستنسانى يوما — محال ان أنساك — فضحكت وقالت :

— وأياك أن تنسى ميتى عان قلبك موزع الآن بينى وبينها ، أليس كذلك ؟

— كلا ، وأنت اليوم تلقين أسئلة ثقيلة

وستكون أسئلتى ثقيلة دائما ، أتريد ان تعرف ما يجول فى خاطرى الآن ؟

— نعم — لقد مللتكم جميعا وبرمت بكم بعد أن عرفت انكم... وامسكت فقال :

— هل سئمت أصدقاءك يا بيرنى ؟ — نعم ولقد بلوتكم فالفيتكم لا تستأهلون شيئا

— عجبا ، لم افهم

— أتنكر انكم محبون للكسل والمال ، وانكم لا تعرفون من الحياة إلا السهر واحتساء الخمر والمقامرة ، سأغير برنامج حياتى وسأتخذ لنفسى أصدقاء غيركم ، والواقع انى كرهت هذه الحياة التى أحياها ، ولما كنتم قطعة منها فانى كرهتكم أيضا

— هذا كلام فظيع ! — وأفظع منه ما قرأته امس — وماذا قرأت

— وردت الى رسالة غفل من الامضاء فيها ان أمك الليدى راشندن ناقمة على وتعدنى مسؤولة عن اضطرابك فى مدينة لندن فعبس الشاب وقال محتجا :

ـــ ما تلك الرسالة إلا دسيسة ، ان كثيرين يا بيرنى يغارون منى للمكانة التى بلغتها عندك

ـــ وهذا عين ما اعتقدته عقب ان تلوت الرسالة

ـــ ان أمى تعلم انى أميل إليك واحترمك وهى تتمنى ان تراك وقد سمعتها تثنى عليك ذات يوم

ـــ آه ، ولكنها لا تعرفنى ـ وهل نسيت ان صديقك روبرت باسيلدون من أصدقائها ؟

ـــ لم اكن أعلم بذلك ؛ ثم قالت برهة وستر‌ون ، أنت وكل الأصدقاء ، اقول ستر‌ون منى صراحة لن تعجبكم وآراء لن تسركم ـ أود ان أعرف من الآن ، رأيك فى على ضوء تلك الصراحة الجديدة

ـــ أنت شاب عاطل كسول محب للترف ـ هذا ما أعرفه جيداً ـ وانت لا تحبنى بل تحب مالى

فاظلم وجهه وصاح محتدا : ـ أشهد انك واهمة ـ انت الواهم وان كنت لا تدرى

ـــ ولكنى اصرح كما صرحت مرارا بانى اهواك ـ وانا اصرح كما صرحت دائما بانى لن اتزوج

فاطرق برهة ثم سألها بقوله : ونادى لورنسو . هل ستقاطعينه ؟ .

ـــ إن ذلك النادى ابتلع معظم ثروتى وأنتم لا ترحمون : أنت التى جنيت على ثروتك . وهل توسلنا اليك أن تدفعى ثمن كل ما نأكله ونشربه هناك ؟ كلا ـ ولكنى رأيتكم فقراء محرومين فاشفقت عليكم ولا سيما وأنى أودكم جميعا . وأحب الفنون الجميلة وأعطف على الفنانين ـــ وهل أنا من الفنانين ؟

ـــ كلا ولكنك تميل اليهم ميلى اليهم وقد تعرفت اليك فى أحد مجتمعاتهم .

ـــ وعلام اعتزمت ؟ لم أفكر بعد فيما سأصنعه

ـــ لو اقترنت بى لاسترحت من الفنانين وغيرهم .

ـــ لا يمكننى ياعزيزى أن اتزوج منك أو من أى شاب على شاكلتك . ان فكرت يوما فى الزواج فانى سأختار رجلا فيه رجولة وفيه عزم وذكاء . أما أنت فتشبه فتاة ناعمة مدللة كل همها أن ترتدى ثيابا ثمينة وتجلس الى موائدة فاخرة . ان المرأة تحب الرجل الخشن الالمعى القوى ذو المطامع . أو هذا ما أحبه أنا من الرجل . ولقد رأيتك مرة تقف أمام المرآة أكثر من ربع ساعة لتصلح ربطة رقبتك . وسمعتك ذات يوم تقول إنك دخلت أكثر من عشرين متجرا باحثا عن قبعة من الحرير الرمادى الثمين . ثم أنت تحملق فى وجه كل حسناء تمر بك وتنحنى احتراما حتى لخادم الحسناء . فهل هذه الصغائر من شيم الرجال الذين يإسرون قلوب النساء .

ـــ إن نساء كثيرات مغرمات بما تنكرين منى

ـــ إذن لا شك فى انهن غبيات .

فبدأ الحزن فى عينيه فقالت وهى تبتسم . أنت تعلم إنى أودك واحترمك .

ـ إنى لا أريد هذا الود وذاك الاحترام .

فقالت وكأنها لم تسمع حديثه . وسأودك دائما واعدك من اصدقائى المخلصين وكم أتمنى ياعزيزى أن أراك تعمل شيئا عظيما .

ـ أردت ان اكون جنديا فرفضت أمى وقالت . حسبى الزوج الذى فقدته فى ميادين القتال .

ـ وهل الجندية كل أعمال الرجال .

ـ سئلت مرة أن اعمل فى شركة بالهند الغربية .

ـ ولماذا لم تسافر ؟

ـ إنى أكره الاغتراب .

- أنت تكره أن تبتعد عن ملاهي لندن وملاعبها ، هذه هى الحقيقة .

- ربما .

ثم قالت بعد برهة . ان اللقب الذى ورثته عن أبى من الالقاب الايرلندية الفقيرة ونحن وان كنا نملك ضيعة الا أنها ضيعة جرداء لا تدر خيرا الا اذا أصلحناها . والاصلاح لا يكون الا بالمال .

ثم ضحك وقال . والمال غير موجود . ولئن وجد فاين الهمة .

فابتسمت وقالت . انت تجيد الفرنسية والالمانية فما يمنعك من ان تبحث لنفسك عن وظيفة فى سفارة أو شركة كبيرة - سأفكر فى أقوالك هذه .

وانا سأفكر فى مستقبلك - وارجو ياعزيزى ان لا تطلع اصدقاءنا على ما انتويه فانى اخشى شرهم انهم اصدقاؤك - وهل يصيبنا الشر الا من الاصدقاء . وبعد فهم من طينة غير طينتك فان رأيتهم يلتفون حولى ويتملقوننى فاعلم انهم لا يريدون الا مالى . ومن الغريب انى أعرف نفوسهم ولا استطيع ان اكرههم وهذا ضعف كبير فى الخلق . ان ما تسمينه ضعفا اعده نبلا - ربما

الفصل الثامن

وساءلت بيرنى نفسها بعد انصراف الشاب بقولها : ولكن هل فى طوقى ان اقاطع ميتى ميراندا واصرم حبالها ، انى افضلها على كل صديقاتى واخشى ان يزعجنى فراقها . وميتى ميراندا هى فتاة راقصة ذات حسن وسحر وقد تعرفت اليها بيرنى فى استديو احد الفنانين . وما رأيتها حتى شعرت بميل غريب نحوها لم تعرف مأتاه ، وفى ختام الحفلة سألت الراقصة صديقتها الجديدة بقولها - هل تتكرمين يوما بزيارة غرفتى الصغيرة ؟

فاحنت بيرنى رأسها واجابتها قائلة . سأزورك غدا . فقدمت الراقصة الصغيرة عنوان مسكنها الى بيرنى وشكرت لها تواضعها ، وفى بكور اليوم التالى مضت بيرنى إلى غرفة الفنانة فالقتها عارية الا من فراش غير وثير والا من مائدة ومقعدين ومشجب وصورة صغيرة فى اطار بديع ، وكانت الصورة لميتى ميراندا وهى طفلة وبين ذراعيها عروسة من تلك التى تعبث بها الطفلات ، وقالت الراقصة حين رأت الزائرة تحدق بالصورة .

- هذه صورتى يوم كنت طفلة مرسلة ولا اعرف من شقاء العيش شيئا ، ومن يصدق ان صاحبة هذه الصورة تذوق الآن الوان العذاب ، ان الذين يرون رقصى وعبثى وابتساماتى يحسبوننى سعيدة راضية عن ايامى ولو علموا انى لا اجد فى بعض الليلات لقيمات أسد بها رمقى لبكونى . فذاب قلب بيرنى حنانا وقالت .

- سأكفيك غدر الأيام وكيدها وهذا عهد جديد فسجليه على

وعرفت بيرنى فيما عرفت من ماضى ميتى انها لم تر أباها وان امها كانت راقصة ناجحة غير ان سلطان سلطان الخمر استبد بها فأفسد عليها عيشها وقبض على حياتها قبل الأوان ، وخانت الحياة الدنيا وخلفت طفلتها المسكينة فكفلها اناس ذوو رحمة وضمير حى . وفى منزلهم اخذت لميتى تلك الصورة المعلقة على الجدار والغرفة الحقيرة العارية . وقالت ميتى لصديقتها وهى تسرد سيرتها . ثم ماتت السيدة ربة الاسرة التى كفلتنى فرأيتنى اضطرب فى ميادين الحياة وتتقاذفنى منازل الكرماء واخيرا التقى بى احد اصدقاء امى فضمنى الى بيته ونشر على حمايته ولما رأى ولعى بالرقص عهد بى إلى سيدة ذات بصر به فلم تزل بي حتى حزقته واتقنته وبعد ذلك عملت فى الملاهى ثم ابتسم لى الحظ بتعرفى اليك فاخذت بيدى ورفعت من ذكرى عمالك وجاهك

ومن الغريب ان ميتى لم تقابل إحسان صديقتها باحسان مثله وذلك ما جبلت عليه من صفات ذميمة فقد كانت وضيعة النفس وذات قلب لا يعرف العواطف الشريفة ، وقديما كان فى الناس الحسد فلا غرو ان حسدت ميتى صديقتها المحسنة اليها على مااعطاها الله من نعمة ، وعرفت بيرني ان الراقصة الشابة تعطيها من

مر اللسان حلاوة إلا أنها عذرتها ولم تعرض عنها بل وأوسعتها كرما كلما أوسعتها الراقصة غدرا

وقد ساءلت بيرنى مرارا بقولها : ما سر افتتانى بميق وتعلقى بها ؟ وكانت ترد على نفسها بقولها : انى احببتها منذ رايت صورتها التي تمثلها طفلة تضم عروسا الى صدرها، ومنذ رايت انها تشبه تلك الطفلة النوريه التى حملتها إلى كوخ مدام استامبورت من شهور مضت ثم ان اللؤم جرى فى دمهامنذ ولدت فمن القسوة أن آخذ عليها ما ورثته عن ذويها وجرى فى دمها

وكانت ميتى حريصة كل الحرص على كتمان اسرارها وهواتف قلبها وحتى بيرنى نفسها لم تكن تعلم ما تضمره الراقصة الصغيرة للشاب باتريك الذى يتملقها كثيرا ؛ وقد ظنت بيرنى أكثر من مرة ان ميتى تغار منها إذا مارأت باتريك مقبلا عليهابسمعه وبصره إلاانها لم تحاول انتعرف الحقيقة وذلك لقـ حفلهابالشباب فى هذا وامثاله كانت تفكر بيرنى بعد ذهاب السير باتريك وأخـيرا قامت الى التليفون وسألت عن روبرت باسيلدون فى غرفه فرد عليها بعد برهه بقوله انه كان على وشك ان يزورها الآن فضحكت وسألته عن السبب فأجاب بانه يريد ان تصنع له جميلا فقالت.

— يسرنى جدا ان اقدم اليك خدمة ما ، وأنا سألت عنك لأنى اشتهى ان نتناول العشاء الليلة على مائدتى فلبي دعوتها ووعدها بأن يكون فى غرفتها قبل السابعة مساء

وجاء فى الموعد المضروب وشد على يدى صديقته ثم قال . كيف انت ياعزيزتى ؟

— فى صحة جيدة غير انى متعبة منذ عودتى من الريف فقد ركبت أمس الى القرية التى نشأت فيها ثم تنهدت وقالت . أتعلم ياروبرت انى سئمت لندن بما فيها من اصـدقاء وملاهى فبرقت اساريره غير انه لم يقل شيئا ، وسألته بقولها

— ذكرت فى التليفون انك تبغى ان اصنع .. فقاطعها بقوله . نعم ، نعم ، أرجو يا عزيزتى أن شرفى بقدومك الحفلة الصغيرة التى سأقيمها فى غرفى ، هذا كل ما أنشده

ثم استتلى يقول ا تتكلم .

— طلبت الى شقيقتى مرارا فى غضو الاسبوعين الماضيين ان اساعد بكل ما استطيعه من جهد ونفوذ صديقين صغيرين من اصدقائها وهما شاب يجيد العزف على البيانو وشقيقة له تحذق فن الغناء، ولما سألت اختى عن نوع المساعدة التى تريدها لهما أجابت بقولها . « ما يمنعك عن ان تولم وليمة صـغيرة فى غرفك وتدعوا اليها بعض اصدقائك ثم تقدم اليهما الشقيقين ، وتزعم اختى ان للشـاب ، واسمه دونالد استارلنج براعة فائقـة فى العزف

— وما اسم اخته

— كونستانس استارلنج ؛ وقد رأيتها وسمعت صوتها فرأيت اجمل شابة وسمعت احلى صـوت ، وانت يابيرنى تعطفين على الفنانين ولك مكانة كبيرة فى الاوساط الموسيقية ولذلك اعتقد ان معرفة الصـغيرين بك غنما عظيما لهما ؛ ثم انى لااعرف ان اولم الولائم وارتب الموائد فهلاقمت انت بتلك الشؤون

— سمعا وطاعة وسترى مايسرك

— اشكرك ، والآن حدثينى عما صنعتيه بنفسك فى الاسابيع الاخيرة، وما اخبارك، وانباء اصدقائك؟ فتنهدت وقالت ليس لدى انباءجديرة بان تذكر ثم انى سريعة النسيان ـ اذن نتكلم عن امس القريب ماذا اصنعت البارحه ؟ ـ بكيت حتى تقرحت جفونى ـ آه ! ـ نعم وقد ركبت امس الى ضيعة كايب ، كما اخبرتك

— وهل الضيعة فى القريه التى نشأت فيها ؟ ـ نعم ولـكنى لم اذهب لرؤية استامبي لانى اخشى ان اقابلها

— ولماذا ؟ فقطبت وقالت . وبماذا ارد عليها اذا انقت على بضعة اسئلة ؛ ولاشك فى ان انباء طيشى فى

لندن قد ترامت اليها ـ اذن لماذا ركبت الى القرية ؟
ــ ركبت الى الضيعه لاعزى المستر روجر كيرتيون ثم انشأت تقص ماجرى بينها وبين روجر من حديث وكانت تتكلم وروبرت يتأملها مبهوتا ثم قال. «ما اغرب شأنك يابيرنى؟ حقا ان نفسك مزيج غريب من العواطف انت الان تشبهين بيرنى الريفيه كما رأيتها أول مرة فى دار الليدى ليرنجتون ـ لشدما تغيرت يأعزيزى روبرت ـ انت واهمة وما تغير قلبك الطاهر ولما جلسا الى الى طعام العشاء سألته بقولها ـ هل ستدعوا الليـدى ليرنجتون الى الوليمة التى ستولمها فى غرفك فهز رأسه واجاب بقوله ــ كلا ؛ وقد افترقنا منذ زمن طويل ، وانت هل رأيتها أخيرا ؟
ــ نعم من بعيد، وهى تغشى المراقص التى اغشاها فلا عجب ان شهدتها مرارا ولكنا ما تبادلنا الحديث ولا تصالحنا ـ وهل لم تزل مبذرة ؟ ـ نعم والدليل انها أرسلت الى أخيرا تطلب قرضا وهل اقرضتيها؟ انى لا ابخل عليها بمال وهيهات ان انسى انها كانت زوجه لابى ـ أحسبها زارتك هنا مرارا ـ كلا . ما زارتنى قط ، وقد بلغنى انها شغفت حبا بشاب من جنوبى افريقيا وانها اغرمت بسباق الكلاب إغراما يكبدها خسائر فادحه
ثم ابتسمت وقالت . هل علمت ياروبرت انى ارعويت وازجرت بعد ان فكرت فعرفت ان هذه الحياة التى احياها لاتليق بي ولا امان لها : نعم سأنقطع عن غشيان الملاهي وسأقلع عن التدخين واحتساء الراح فتهلل وجه الرجل وصاح قائلا . ياله من نبأ سار . اهنئك من صميم قلبي . حمدا لله ! ـ لاتسر من الان!
ـ ولماذا ! ـ لانى اعتزمت الأمر ولم أنفذه بعد ـ مثلك لاترجع عن عزم شريف انتوته وانتقلت الفتاة الى موضوع مكتبه سيمون ثم قالت . أنى راغبة فى الحصول عليها
فابتسم وقال . وماذا تصنعين أنت بمكتبة ؟ فهزت كتفيها وأجابت قائلة .
ــ لأادرى وقد عهدت الى المحترم وياس بالنظر فى هذا الشأن وفكرت برهة ثم قالت . ــ ان فى القرية بناء كبيرا اتخذه القرويون مكانا لاجتماعهم وحفلاتهم وكم يسرنى أن أبتاع كتب المرحوم سيمون واودعها فيه فاخلد ذكرى الشيخ الفاضل وأنشر الثقافة فى ربوع القرية ، غير أنى أخشى أن يأبى روجر أن يبيعنى اياها ــ بارك الله فيك ، هكذا الوفاء ! . فضحكت وقالت . غير أنى سأهجر الاصدقاء الذين تعرفت اليهم فى لندن ــ وفى هذا الهجر وفاء لماضيك الناصع المشرق
ــ أخشى ألا أستطيع أن أفارقهم بسهولة ثم لاتنس أن كثيرا منهم سيحقدون على
ــ لأنك كنت بقرة حلوبا لهم . ــ نعم وما أكثر ما أنفقته عليهم
ــ لاتندمى على مافات وحسبك أنك اهتـديت الى سواء السبيل وساد الصمت برهة ثم قالت . ـ ماذا تعرف عن الليدى راشندن أم صديقى باتريك ؟ . ــ أعرف انها سيدة فاضلة ذات احساس رقيق وقلب كريم وهى فى رقتها تشبه اختى مدام تورنز ، ثم هى أيرلندية ومن اسرة شريفة واعلم انها فى عسر وقد بلغ من حبها لولدها انها لاتسأله عما يفعل ، وفى اعتقادى ان مثل هذا الحب يغرر ويضر ، وقد يصير باتريك رجلا مدبرا بشىء من الحزم ــ او بشىء من المال ــ نعم ــ انى اعطف على باتريك واتمنى ان اراه رجلا عاملا ــ حسبتك تحبينه ــ نعم إنى احبه ولكن كما تحب الاخت شقيقها ، ولا أكتمك أنه سألنى مرارا أن اقترن به فرفضت ، وأفهمته أنى راغبة عن الزواج وفكرت برهة ثم قالت .
كم أود أن أساعد باتريك ــ ان أهل أمه ساعدوه مرارا ولكن بدون جدوى
ــ ولكنى لن أيأس من اصلاحه وحبذا لو ترشدنى الى مايجب أن أصنعه لاجله ــ سأفكر فى هذا الامر وان كنت أشك فى قدرتك على اصلاحه ــ ولماذا ؟ ــ لانه ورث عقل أمه، والليدى راشندن

ذات أهواء غريبة وفكر مشوش فهى مثلا تضيع معظم وقتها فى ميادين السباق وفى الصيد والقنص وتظن ان صلاح ولدها وسعادته فى ان يركب راسه فى لندن ولا حسيب عليه ولا رقيب

ولما وقف روبرت بعد ساعتين ليصافح مضيفته قبل ان ينصرف شعر بشعور شديد الى ان يطوق خصرها بذراعه غير انه تغلب على عاطفته ومد اليها يده فبسطت اليه يديها فتناولها وقال وهو يبتسم ويحدق بعينيها ماذا قلت للسير باتريك حين عرض عليك الاقتران به ؟

ـــ افهمته انى راغبة عن الزواج ـــ منه فقط ؟

ـــ ومن سواه ، وقد اتزوج بعد أن أخلف الثلاثين ، ومن يدرى فقد أغير رأيى قريبا وان كنت لاأحب الاالحرية ، والزواج يحد من حرية المرأة كما يحد من حرية الرجل

فضحك روبرت وأطلق يديها ثم قال . طاب مساؤك ، أشكرك !

وخرج الى الطريق وهو مشغول الفكر بالفتاة التى مال اليها منذ رآها وقال لنفسه وهو يخب فى أحشاء الظلام . الليلة فقط عرفت أنها ذات ملاحة نادرة وجاذبيه لاتقاوم ثم كريمة رحيمة وفية ألم تقل أنها تكره الليدى ليرنجتون غير أنها تكرمها وتبرها اجلالا لابيها ، وانها تود ابتياع مكتبة الشيخ تخليدا لذكره ولنشر الثقافه فى القرية ؟ وأشعل سيجارة ثم استلقى يقول . حبذا لوهجرت حياة الطيش ، نعم انها ستلاقى من أصدقائها وصديقاتها عنتا ولكنها ستفوز أخيرا اذا تذرعت بالحزم . ليتنى نصحتها بان تركب البحر الى القارة وتقيم بها حتى ينساها الطامعون فى ثروتها

الفصل التاسع

نجحت حفلة روبرت باسيلدون نجاحا بالفرا وأتت بالنتيجة الطيبة التى كان يرجوها منها فقد اقبل الاضياف على الموسيقى البارع ذونالد استارلنج وشقيقته كونستانس يهنئونهما عقب انتهاء السهرة ويرجون لهما مستقبلا زاهرا . والواقع ان رونالد عزف على البيانو عزفا . سلب الالباب كما استهوت اخته النفوس بغنائها وحلاوة صوتها . وكان دونالد ملحنا ايضا . وقد سألته مدام تورنز ان يسمعهم شيئا من تلحينه فابدع ايما ابداع

وشاق بيرناردين ليرنجتون الغناء والعزف وتوهت وهى تصغى الى الفنان الوضىء الوجه الساحر الطرف انها تسبح فى اجواز الفضاء غير انها لم تشعر بميل الى الشقيقين بادىء ذى بدأ فقد كرهت منهما صلفهما وغرورهما وكبرياءهما ولكن ما انتهت الحفلة حتى كانت من اشد المعجبين بهما . بل وزادت فى تكريمهما باصطحابهما في سيارتها حتى باب مسكنهما . وبدعوة كونستانس الى زيارة شقتها .

ولم يمر سوى ايام قلائل حتى نبتت صداقة وطيدة بين بيرنى من ناحيـة وبين كونستانس ودونالد من الناحية الاخرى . وبعد اسبوعين طار ذكر الشقيقين كل مطار فى جميع المقامات الموسيقيـة ولما رأت ميتى ميرأندا كلف بيرنى بالشقيقين ارسلت تهددها بقولها . انى لا اصبر على ضيم ولا ارضى بالهوان بعد ان عرفت العز فان كانت تلك الفتاة المغنية قد شغلتك عنا فانا لم يشغلنا عنك احد . وكان حريا بك الا تحرمينا من سخائك كما دمت قد حرمت اصدقاءك من وفائك . عودى الينا والا ارسلنا السنتنا فى أثرك واطلقنا الاشاعات حولك . ومن الغريب ان بيرنى لم يغضبها هذا التهديد وارت الرسالة لصديقها باسيلدون وقالت وهى تضحك . سأبعث بمبلغ من المال الى ميتى لا خوفا من اكاذيبها بل رحمة بها .

فلم يقرها الرجل على هذا الرأى غير انها نغزية على ما اصاب ثروتها من نقص عظيم فقد اطلعها المسجلون على حسابها ذات يوم وافهموها ان ثروتها مهددة بالضياع إن لم تقتصد واخبروها ان من الخير ان لا تبتاع

مكتبة سيمون التى تقدر بمبلغ طائل . ولأول مرة عرف قلب بيرنى خفقات الحب، ولأول مرة ذاقت جفونها طعم السهاد فقد أحبت، دونالد حبا ملك عليها مشاهدها وأطارها فى جو بغيض سحرا واحلاما لا عهد لها به

ومن الغريب انها ادركت فجأة انها بالشاب الموسيقى متيمة فلم تصدق قلبها فى أول الأمر غير انها سرعان ماعرفت الحقيقة فسرت سرورا عظيما وان كانت لم تر من الشاب ما ينم عن اهتمامه بها .

كانت تقتنى بيانو ثمينا جدا فلما رأته كونستانس فى زيارتها الأولى لشقة بيرنى اعجبت به وقالت :

لو رأى أخى دونالد هذا البيانو لأبي ان يفارقه برهة واحدة فضحكت بيرني وقالت .

مرحبا بدونالد فى كل وقت . ومن لا يتمنى ان يسمع عزفه اناء الليل واطراف النهار . وفى اليوم التالى حضر بصحبة اخته وفى اليوم الثالث جاء بمفرده وكان اذا جلس الى البيانو تجمد بيرنى فى مكانها وتصغى الي الانغام المشجية فتنسى كل شىء الا الموسيقى المبدع وعزفه الساحر .

وجعل دونالد يزور بيرنى فى كل يوم تقريبا وقد شجعه على ذلك احتفاء الفتاة به واسرافها فى الملق وكان الفنان ذو كبرياء وصلف وكان يعتقد ان لا احد يباريه فى العزف . وقد اشتد به الغرور حين رأى اهتمام الناس به وثناءهم على الحانه . وحدث ذات مساء ان جلست بيرنى تصغى الى الموسيقى بانتباه كدأبها كلما جلس دونالد الى البيانو . وفجأة انثنى الشاب نحوها وقال وهو يبتسم . وهذه القطعة من الألحان التى وضعتها فما رأيك فيها ؟ . فقالت وهى تلهث . كأنها تغريد الأطيار فى ساعة السمر فضحك حتى بدت نواجذه وقال .

لم اكن اعلم انك شاعره الا الآن . قال ذلك ووضع يده على كتفيها ثم سحبها بسرعه واقبل على البيانو وفى تلك اللحظة عرفت الفتاة انها تحب دونالد وأنه هو الذى سحرها لا الانغام التى يستثيرها من البيانو .

وحذرها يوما السير باتريك راشتندن من الموسيقى بقوله . ان دونالد شاب لا يحب الا نفسه فاحذرى من مكره فابتسمت الفتاة العاشقة وقالت . انى لا أحبه ياغيور فاطمئن ! ومرت الايام والحب ينمو فى قلب الفتاة ويكبر ودونالد مقتول بمجده عنها الا انه تكلم ذات مساء . ذكر أقوالا أفعمت قلب بيرنى اطمئنانا كانت تصغى الى الحانه وفجأة هب الشاب واقفا وقال . كم الساعة الآن . فاضطربت . من سؤاله عن الوقت معناه انه سينصرف وان الوحشة ستستولى عليها وان السهاد سيلازم أجفانها . واعاد سؤاله فقالت .

نحن فى الساعة الحادية عشرة . آه لقد مكثت طويلا . ويجب ان اخرج الآن .

فشعرت كأن شعبة من شعاب قلبها قد هوت . وقالت . ولكن نسيت ان يقدم اليك قدح شاى أو طعاما خفيفا .

فتفرس فى وجهها مليا ثم قال : لا أريد شايا ولا طعاما . وكل ما اطمع فيه هو ان اجلس الى البيانو فى غرفتك هذه وانت قريبة منى ثم قال فى لهجة لم تعهدها فى صورته من قبل ـ انت يابيرنى الوحى الذي يمدنى العبقرية أنت مصدر الهامى اواه ماذا أقول . يجب ان اخرج الآن قبل ان أنطق بكلام سخيف

وكان يتكلم وهى تنتفض . ماذا تقول هل اذنت الساعه السعيدة التى كانت ترقبها منذ ايام وايام ، وتماسكت وقالت بصوت خافت : لماذا لا تمكث حتى الساعة الواحد او الثانية، ان الليل طويل والحانك عذبة واذا احب الموسيقى واحب الكلام السخيف وجوه ثم انت لا تنطق بشىء سخيف !

— فنظر اليها مليا وقال : اولا تفهمين . ان بينى وبينك حوائل عديدة فقالت وكأنها تتكلم وهى نائمة ـ حوائل . حوائل عديدة . لعلك تعنى انى املك شيئا لا تملكه انت . ولكن هل غاب عنك انك تملك أيضا مالا املكه انا وما قيمة المال اذا ما قورن بالعبقرية ـ هذا رأيك أنت ـ ورأى كل عاقل ففكر برهة ثم قال . ربما ، قال ذلك وخرج مطرقا ولما سمعت الفتاة وقع خطاه فى الشارع أجهشت . وتسلمت بيرنى

فى صباح اليوم التالى رسالتين أحداهما من القسيس الصالح يخبرها فيها بان المستر روجر كيريتون اعتزم ان يحتفظ بمكتبة جده. والاخرى من السير باتريك راشندن ينبئها بانه مسافر اليوم الى ايرلندا وقد يعود بعد اسبوع. وجاء فى اخر رسالته. « . كنت ليلة امس فى نادى لورنسو فسمعت ميتى ميراندا تتقول عليك الاقاويل وتزعم انك غدرت باصحابك وخذلتيهم فى ساعة الضيق والشدة وكان فى ميسورى يابيرنى ان ارد عليها ولكنى وجدتها على حال لا تعى فيها بما تهرف اذ كانت سكرى .» واقبلت ايام عيد الميلاد ثم انقضت وولد عام جديد ثم حل شهر فبراير وخرج المحترم القس ويلس من الابراشية مندثرا بمعطفة السميك ليزور بعض جيرنه الذين يشهدوا صلاة يوم الاحد الماضى وبعد ان زار روجر وبدال القرية مضى الى كوخ مدام استامبورت ولما دفع بوابة الحديقة الصغيرة وقع بصره على بيرنى فتراجع ثم صاح بفرح آه من أدرى ابنتنا بيرنى هنا! فاسرعت الفتاة نحوه وصافحته بشوق وقال متى قدمت؟ منذ يومين أى عقب ان تسلمت رسالة زوجتك — وهل سألتك ان تحضرى؟ — كلا وانما اخبرتنى بان مدام استامبى مريضة

— وكيف هى الآن. أحسن من ذى قبل، تفضلى ان البرد فى الحديقة شديد، وسارت بين يديه الى المطبخ وأجلسته أمام مولدة كبيرة وتأمل الراعى الصالح وجه الفتاة وقال. لقد تغيرت كثيرا غير أن عينيك ماتغيرتا فاحمر وجهها وقالت: نعم انى نحيفة الان، ثم تذبذبت وقالت: ماغيرنى سوى الطريق الذى سلكته فى لندن فهز رأسه وقال. دعينا من ذكر ذلك الطريق ويكفى أن انتهى بك الى هنا، مرحبا؟ صدقت وهل أنت سعيدة؟ نعم ياأبى الحمد لله! وساد الصمت برهة ثم قال. كنت فى ضيعة كايب قبل قدومى الى هنا فتغير وجهها وقالت: وهل رأيت روجر؟ نعم وقد تغير هو أيضا، وارحمتاه للمسكين. وماذا عراه! — ان وفاة جده وزواج أمه قد حطماه تحطيما؛ وسمعته اليوم يقول انه قد يهاجر الى اوستراليا فى طلب الرزق

ثم قال بعد برهة. كم أتمنى أن يبتعد عن الضيعة التى تثير فى نفسه الذكريات المحزنة، فلم تجب وقامت الى ركن المطبخ تعد قدح شاى لضيفها، وقالت — وهى تقدم القدح اليه. لاشك فى أنك سمعت عنى أخباراً لم تسرك. فقال الرجل الفاضل: ان الا كاذيب كثيرة والاشاعات لاانقطاع لها وأنا من الذين لايصدقون كل مايسمعونه. ثم أنى أعرف معدنك الثمين الطاهر أكثر مما تعرفينه أنت

فتهللت وقالت: بارك الله فيك ياأبى، والله انى مااقترفت ذنبا يؤنبنى عليه ضميرى — حسبى هذا هل بلغك أن أبن استامبى يعمل الان فى احدى شركات النشر؟ — نعم ولكن مدام استامبورت كانت تبغى أن يدير حانوت أبيه فتنهدت وقالت. ان مدام استامبى كثيرة الشكوى، أتعلم أنها ألحت على اليوم مرارا فى أن أعود الى لندن، انها تزعم انى لم أخلق لأعيش فى بيتها الحقير، وآهالها، وهل نسيت انى نشأت فى هذا البيت

— ماأكرم قلب مدام استامبورت! — نعم ولكنى لن أعود الى لندن الا بعد أن تتماثل للشفاء ووقف الراعى وقال: ان ابنتى ايرين ستحضر الليله مع زوجها، وسيمضيان فى الابراشية أياما ثم يسافران الى الهند. ماذكرت مرة انى لم أشهد حفلة عرس ايرين إلا ولعنت نفسى، ويحى مامنعنى عن الحضور الي القرية فى ليلة الزفاف! فضحك القس وقال: أن بيرل لم تتزوج بعد فلئن فاتك عرس اختها فلن يفوتك باذن الله حفلة عرسها هى ثم طبع قبلة على جبين الفتاة وانصرف؛ وجلست الفتاة أمام النار تفكر. ان تركها لمدينة لندن قد كلفها هموما وأشجانا. وكيف تنسى الساعات الثمينة التى قضتها مع دونالد استارلنج فى تلك العاصمة الزاهرة

ولقد غازلها شبان كثيرون ، وادعى أكثر من رجل أنه يهواها إلا أن قلبها ماخفق خفقات الفرار إلا بعد أن تعرفت الى الفنان دونالد — نعم هي خلفت لندن لترى مدام استامبي ولكنها مااستطاعت أن تخلف المدينة إلا بعد أن سافر دونالد الى باريس ليسحر الباريسيين بالحانه

وقد سألته بعد أن أزمع الرحيل عن موعد عودته فاجاب بأنه قد يغيب اسبوعا أو أسبوعين ، وقال لك بدون اهتمام كانه سيان عندها غيابه أسبوعا أو أسبوعين

الفصل العاشر

وحركت بيرني نار الموقدة ثم استغرقت في التفكير ، ان هيامها بدونالد قد أغضب عليها أصدقاؤها ولا بدع أن هددت ميتي وأبرقت وأرعدت . ولكنها ماأهملت أصدقاءها زهدا فيهم بل خوفا من أن لايسر دونالد اختلاطها بهم ، وماالتزمت شقتها وكفت عن غشيان الملاهي والمنتديات إلا خشية أن يزورها دونالد فلايجدها ولقد أنساها الهوى أيضا الصديق الوفي المستر روبرت باسيلدون كما أنساها السيدة الفاضلة مس اوجستا ميرفين

وقد تقابلت المرأتان للمرة الثانية في الحفلة التي أقامها روبرت باسيلدون في غرفه ، وقام روبرت بالتعارف ثم تركهما وهو يقول : ان كلا منكما تود أن تحادث صديقتها ولاريب حديثا طويلا قال ذلك ثم ابتسم وخلفهما وجرى بينهما حديث طويل وفي اليوم التالي زارت بيرني دار مس أوجستا وبعد يومين ردت مس أوجستا الزيارة وتركت بين يدي الفتاة وهي تودعها غلافا كبيرا وقالت . اقرأي الرسائل التي في هذا الغلاف فتعرفي بعض ماتجهلينه من شؤون أبيك ، فقالت بيرني وهي تضع الغلاف على مائدة كانت خلفها .

— في اعتقادي أن أبي ظلمني وتناساني والا لما عهد بي الى مدام استامبي ، ويبدو لي أنه كان يكره النساء ولايحترمهن ، ولعله أراد أن يجعل من حياتي نكتة كبيرة فان كان ذلك كذلك فقد نجح غير أنها نكتة لاتضحك فردت عليها مس أوجستا بقولها .

— اشتهي أن تعرفي ياعزيزتي أن أباك لم يلق في حياته الا القسوة وسوء المعامله ، وكان رحمه الله يكره أن يعلن عن عواطفه ويكشف عن قلبه ، وكنت أكبره ببضع سنوات فاستطعت أن أفهمه ، كان محبا للعمل والجد وكان في نفس الوقت شديد الخجل كثير التحفظ مثل أمه ، وقد قاست أمه في مستهل حياتها الزوجية آلاما وهموما عديدة

— وماذا تعرفين عن أمي ؟

— كل ماأعرفه أن زواج أبيك منها كان خطأ عظيما والاثنان مسؤلان عن ذلك الخطأ ، وستجدين في الغلاف صورة أو صورتين لها — وهل هي على قيد الحياة ؟

فهزت السيدة رأسها وأجابت قائلة . كلا ، وكانت وفاتها محزنة — ماذا هل قتلت في حادثة ؟

فتنهدت العجوز وقالت . لا ، بل هربت من أبيك الى رجل أحبته ثم سافرت بصحبته الى غربي افريقيا وما لبثت في مقامها الجديد أسابيع حتى أصيبت بالجدري وماتت به ، ستعرفين أشياء كثيرة من الاوراق التي في هذا الغلاف وستحكمين بعد ذلك على أبيك حكما عادلا وأكبر ظني أنك ستحبينه وتترحمين عليه ثم تنهدت وقالت . وقد أحببت هنري ولم أزل أحبه ، وأكبر مايعجبني منك شبهك له ، وفي تصرفاتك شمائلك أشياء كثيرة منه — ومن الغريب أن ذكرت بيرني هذا الحديث وسواه وهي ترمق النار في مطبخ مدام استامبي وانتبهت من أحلامها فجأة على صوت ربة الكوخ فصعدت اليها وهي تكفكف عبرات كانت قد هطلت من عينيها وقالت مدام استامبي لربيبتها ذات صباح .

ـ لقد تماثلت يابيرنى للشفاء بحمد الله ولم يبق الا أن تعودى الى لندن

الله يعلم انى لا أقترح على دهرى أكثر من ان أراك فى كل لحظة ولـكن من القسوة أن أستبقيك هنا بعيدة عن الأنوار والملاعب وحياة لندن المشرقة ـ سأرجع الى لندن بعد أيام ياستامى

ولماذا لا تسافرين غداً مثلا . فضحكت الفتاة ضحكة تنم عن شجن وقالت :

ولماذا أسافر غدا وليس فى لندن أى إنسان يرجو أن اعود سريعا فابتسمت مدام استامبورت وقالت .

آه . اذن حبيبك بعيد فى الوقت الحاضر عن لندن فتضرجت وجنتا الفتاة وقالت مغمغمة .

ـ حبيبي . حبيبي ماذا تعنين ياأستامبي ؟ فهزت العجوز رأسها وقالت . ليس من العسير على عجوز مثلى عجمت عود الدهر ان تعرف اذا كنت خلية أم شجية . أن الحب لا يخفى ياحبيبتى . وقد ادركت منذ حضرت انك عاشقة . وادركت ذلك من نظراتك وصوتك واطراقك الطويل فتنهدت بيرنى وقالت

أما وقد عرفت فانى اعترف بان لى حبيبا فاشرق وجه العجوز سرورا وقالت . وافرحتاه . حدثينى عنه بربك

فاندفعت بيرنى تتكلم . ولا شيء يسر العاشق أكثر من ان يشرح هواه لمن يثق به

وأخيرا قالت مدام استامبورت . وما صناعته ؟ فاصطبغ وجه الفتاة بحمرة الخجل وقالت .

انه من كبار الفنانين . لم أفهم . ان دونالد استارلنج من اشهر الموسيقيين . موسيقى . حسبته لورد . أو دوقا ـ هو أفضل عندى من اللورد والدوق ـ وعادت بيرنى الى لندن بعد يومين وما احتوتها الشقة الصغيرة الانيقة . حتى ذاب شوقها الى الحبيب . ورأت نفسها تدخل قاعة الاستقبال وتتلمس أصابع البيانو ثم شعرت بدموعها تسيل على وجنتيها . آه أنه يجلس هنا على هذا المقعد الصغير الدوار . ويرى هذه الصورة الموضوعة فوق البيانو . وفى جو هذه الغرفة تدق الانغام التى يستثيرها من البيانو وتشرق ابتساماته الساحرة

وذهبت الى مخدعها وطلبت رقم آل استارلنج ثم قالت لمن رد عليها . هل استطيع ان احادث الآنسة . استارلنج . فسمعته صاحب الصوت يقول . ان الآنسة استارلنج فى ايستبورن عند اصدقاء لها هناك

واين المستر دونالد استارلنج ـ اعلم انه حضر من باريس أمس ـ لا ياسيدتى . انه عاد منـذ بضعة أيام .

وهو غير موجود هنا الآن . ومن أنت ياسيدتى لا خبره حين يعود ؟ سأكلمه فى وقت اخر .

وردت السماعة الى مكانها من جهاز التلفون وغمغمت تقول : ماذا دونالد عاد منذ بضعة أيام . ألم يعدنى بانه سيكتب الى ان قدم موعد رجوعه . انه لا يفكر فى ولا يهمه امرى كثيرا . ولـكن لعل له عذرا

قالت ذلك وتهافتت على مقعد وانفجرت باكية . وزارها فى صباح اليوم التـالى السير باتريك . وبعـد ان سألها عن أيامها فى الريف قال . وماذا ستصنعين وقد رجعت الى لندن . فابتسمت ابتسامة شاحبة وأجابته بقولها

سأقبع فى غرفى ـ ولندن وملاهيها ؟ ـ لقد سئمتها . ثم سألته بقولها . هل رأيت ميتى أخيرا ؟

كلا وكنت فى ايرلندا كما تعلمين غير انى سمعت انها تلعنك ابدا . وارحمتاه للمسكينة

ـ اطمئنى انها لا تقع الا واقفة كالقطط . وسمعت أيضا خبرا سرنى كثيرا وهـو ان فريدى التحق بفرقة موسيقية شهيرة وسيسافر معها الى امريكا . وقد التقيت به أمس وبعد ان بشرنى بنجاحه فى الحياة جعل يثنى عليك ويحصى اياديك البيضاء ثم افضى الى بسر مدهش ـ وماذا قال ـ قال انه يحب ميتى حبا عظيما ويطمع فى ان يقترن بها بعد ان صار مرتبه الاسبوعى خمسة جنيهات . وكم اتمنى ياعزيزتى ان يتزوج منها .

ـ اه ـ أتقول ذلك وقلبك مشغول بهوى الفتاة .

ـ لا والله ماشغل قلبى الا بهواك . فعبست فقال : لاأنكر أنها تحبنى وقد سألتنى مرارا أن اقترن بها ولماذا لم تتزوج منها ؟ عجبا يابيرنى ، أنى لم أسقط الى قرار الهاوية بعد ! وساد صمت قصير ثم قالت . ولكن

ميتى لاتحب ذاك الشاب الغرير ، ان ميتى لاتحب الا نفسها وإلا المال ، ثم من ينكر أن للقلوب أهواء ؛
وفريدى شاب خجول متواضع وعهد معرفته بميتى يرجع الى سنوات خلت وابتسم ثم سألها بقوله :وقضيتى
أنا يابيرنى؟ فقالت وقد أدركت مايعنيه : قلت أكثر من مرة انى لن أتزوج . فتنهد ووقف ثم قال .ولكنى
لن أيأس ؛ وسأقترح عليك الزواج منى كلما أقابلك ثم صافحها وهو يضحك وخرج

ووثب خاطر الفتاة الى الشاب الذى أحبته إلى دونالد الساحر ، لماذا لم يكلمها فى التليفون وقد عرف ولا
ريب أنها رجعت من الريف ... لا ... لن تبدأ بمحادثته والا فأين عزة النفس ، أواه ، ليتنى عرفته جيدا
قبل أن يشتهر اسمه، انه الآن مشغول دائما بالذين يتملقونه والذين يولمون له الولائم ،والغريب أنى لاأعرف
مايضمره لى !

ومرت الساعات والمحبوب لم يقدم أو يتكلم فى التليفون، وفى نحو الساعة الثانية عشرة صباحا رأت الآنسة
ستارلنج داخلة عليها ففرحت واستقبلتها بالترحاب ثم قالت . أنت فى لندن ، أخبروني أمس فى التليفون
انك فى ايستبورن . فقالت الآنسة استارلنج بعد أن لثمت جبين صديقتها .

— نعم انى مقيمة فى الوقت الحاضر بايستبورن مع أصدقاء لى وقد جئنا اليوم بسيارة لنمضى اليوم فى
لندن وكرهت أن أعود الى ايستبورن دون أن أراك — شكرا ياعزيزتى ! — سأزف اليك بشرى

فتألقت عينا بيرنى وقالت . نعم ياحبيبتى ، سأتزوج بعد ثلاثة اشهر . يالها من بشرى عظيمة ؛ وهل هو
ذلك الشاب الاسمر الذى قدمه الى اخوك فى دار الاوبرا – هو بعينه ياحبيبتى ، وسمرته مستحبة ؛ اليس
كذلك ؟ فابتسمت بيرنى وقالت . نعم يا كونستانس – وهو يحبنى منذ عهد بعيد ، وقد سالنى اكثر من
الف مرة ان اتزوج منه غير أنى كنت أرفض لشدة تعلقى بأخي دونالد وحرصا على راحته ولما أدركت أخيرا
انه لايحب الا نفسه والا الشهرة رايت ان من الحماقة ان اضحى بسعادتى عليه وذبح أنانيته

وأعتدلت فى جلستها وقالت باهتمام . بيرنى انى أحبك وأتمنى لك كل سعادة وسرور ولذلك استبيح لنفسى
ان أحذرك من دونالد ، لاتنظرنى الى هكذا ، ان دونالد لايستحق أن تتفانى فى حبه ، وما انتفاعك برجل
لايفكر الا فى نفسه ولا يحب الا الاطراء والشهرة ، قد تعجبين من حديثى هذا وتقولين أخت تذم أخاها
وما هكذا يكون الاخاء ولكن شفيعى اخلاصى لك واعترافى بافضالك ومنك علينا ثم ليس من الرحمة
ان ادع دونالد يحطم قلبك كما حطم ابوه قلب امنا من قبل ؛ وكان والده غفر الله له متكبرا متعجرفا فلا بدع
ان ورث خصاله الذميمة ، أقول هذا وأنا أعلم تمام العلم انك تحبين دونالد لقد تكلمت والراى الاخير لك ولا
ريب ، قالت ذلك وودعت وخرجت . وخلفت بيرنى تنتفض وتضغط قلبها بيدها كانها تخشى ان يفر من
بين ضلوعها ، وبكت المسكينة حظها ولم تذق طعام الظهر ،وفى السابعة مساء وكانت تطالع وتفكر امام الموقدة
سمعت صوت دونالد وكان يقول

الخادمة فى الردهة . اين هى ، فى قاعة الاستقبال ؟ وارتعدت العاشقة ولكنها لم تخلف مكانها ؛ودخل
الشاب يختال عجبا ثم وقف امامها وقال . انت فى لندن ولا تخبرينني — ياللقسوة ! فشحب وجهها ولم تقل شيئا

الفصل الحادى عشر

وساد صمت غير طويل وعاد الشاب يقول : من القسوة يابيرنى أن تعودى ... فقاطعته وقد تمالكت
جأشها . من القسوة يادونالد أن ترجع من باريس منذ ثلاثة أو أربعة أيام ولاتكتب الى ، وقد سألت
عنك أمس فقيل لى فى التليفون انك غير موجود وأن كونستانس فى ايستبورن

— أه ماعرفت انك تكلمت أمس فى التليفون ، لقد وجب أن أتخذ لنفسى سكرتيرة تتلقى رسائلى وترد

على الذين يسألون عنى ، آه ما أعظم أكلاف الشهرة ، صدق من قال أن لكل شىء ثمنه
قال ذلك وانحنى ولثم شفتيها ثم قال . سأعيش فى فوضى واضطراب حتى يضمنا بيت واحد ، ألم يبلغك أن كونستانس الغادرة قد هجرتنى لتتزوج من رجل حقير مغمور دميم وأنها راحت تشنع على فى كل محفل ، وناد ، وقد تزورك بعد يوم أو يومين لتشتمنى أمامك ولتتهمنى بما أنا برىء منه ، لقد قدر الدهر وأصبحنا فى زمن يأكل الاخ فيه لحم اخيه ، أتعرفين ماذنبى عندها ، لماذا يصبح اسمى على كل شفة ولسان وتظل هى فى الظلام ؟ — ان كونستانس زارتنى فى الصباح . فأربد وجهه وسألها بقوله . كانت هنا ، أنها فى ايستبورن

— وستعود الليلة الى ايستبورن وقد جاءت لندن مع أصدقاء لها وماذا القيت فى أذنيك من أكاذيب واستتلى يقول قبل أن ترد على سؤاله

— أن أن أتكلم يابيرنى بعد صمتى الطويل غير أنى لا أجيد فن الكلام فيكفى أن أقول أنى أهواك وأروم آن اقترن بك ، وقد امتحنت قلبى مرارا قبل أن أفضى اليك بسرى فأيقنت أن الحب ركين

فوقفت بيرنى وسارت الى النافذة وكانت ترتعد ، والصقت جبينها بزجاج النافذة ، ماذا تقول : إنها مغرورة ، ولا تنشد إلا ماعرضه عليها الان ولكن كونستانس ، وهى أخته ، تحذرها منه . وكان الشاب أدرك مايجول فى خاطرها إذ سار اليها وطوق خصرها بذراعه وقال . بيرنى ، تكلمى !

فاستدارت نحوه ببطء وحدقت بعينيه مليا ثم القت برأسها على صدره فانحنى وانهال على شفتيها لثما وتقبيلا وغردت العاشقة بقولها : انى أحبك يادونالد — اعلم ذلك ياحياتى ، وستكونين أسعد زوجة فى الدنيا وأفلتها ثم قال . أين نقضى شهر العسل ؟ فضحكت وقالت : نحن لم نتفق على الزواج الا ن — ولماذا لايكون الزواج بعد أسبوع مثلا ، فتداركت دقات قلبها وقالت . بعد أسبوع .لا ، إن إعداد الثياب والجهاز يستغرق وقتا طويلا — وهل نحن فى حاجة الى ثياب وجهاز ؟ بلى — كما تريدين ياحبيبتى . فطوقت عنقه بذراعيها ولثمت شفتيه ثم تراجعت وقالت : ماأجمل الحب ! — ولكنك أجمل منه ، وهكذا نسيت نصيحة كونستانس وعدها من الأكاذيب وقالت : — أتحبنى حقا يارونالد ؟ — لولم أكن متيما بك لما عرضت عليك الزواج

— صدقت : واطمأنت نفسها تمام الاطمئنان

ولم تنم ليلتها من الفرح والسرور مثل الهم يطرد النوم ويورق الجفن ، ومر أسبوع وهى من أسعد النساء طرا ثم حدث مابدد أحلامها وأذاب قلبها وأمض روحها

زارتها كونستانس ذات مساء وقالت وهى تصافحها :

— ماجئت الا لأمر هام — بلغنى كما بلغ سواى أنك ستتزوجين من رونالد وقد عرفت اليوم أنه بأقول خطيرة عقب عودته من باريس . فاضطربت بيرنى وقالت : وماذا قال ؟

— جلس مع أخوان له فى مشرب وبعد أن نالت منه الخمر راح يتحدث عن راقصة فرنسوية ذات جمال ومال ، وقال انه سافر الى باريس ليوقعها فى شرك غرامه ، ولما سئل هل أفلح ، قال كلا وما ندمت الا على خير من ثروتها ثم ضحك وقال . غير ثروة الآنسة برناردين ليرنجتون لا تفوتنى ، وهى فتاة بلهاء مفتونه بي ، وسأتزوج منها قريبا وبعد أن استولى على أموالها أنبذها نبذ الحذاء الخلق ، هذا ما بلغنى يا بيرنى وقد أطلعتك عليه لتكونى على بينة من أمرك ، ومن الشهود الذين سمعوا أقوال أخى رونالد المستر روبرت فاين مدير ملهي روماوالمستر جاك أوين الرسام الشهير والمستر رالف تيدور صاحب مصنع القصان بشارع الجامعة ذلك أن تسأليهم وأكبر ظنى أنك تعرفينهم ، والآن قد حذرتك من فانى سأنصرف ، طاب مساؤ

ولو أن الصاعقة انقضت على رأس بيرنى لما فزعت وارتاعت أكثر من فزعها وارتياعها عندسماع أقوال كونستانس ، ولا شيء يحطم نفس المرأة أعظم من غدر الحبيب

وصار مثل بيرنى مثل انسان أحرج فجأة وبعنف وقسوة من حديقة غناء ترن أطيارها وتهتز أغصانها وتنساب مياهها الى صحراء مجدبة تتعاوى ذئابها وتلتهب رمالها

وطلع عليها صباح اليوم التالى بحدث جديد

كان الامل الوحيد الذى يعمر قلبهـا هو أن تكون كونستانس كاذبة فيما زعمت ولكن الرسالة التى تسلمتها فى الصباح من مدام استامبورت قضت قضاء مبرما على ذلك الامل ، قالت العجوز بعد أن بثت أشواقها وسألت عن صحة بيرنى .. . لما بلغنى منك أنك تحبين شابا موسيقيا يدعى رونالد استارلنج خشيت أن يكون غير أهل لك فكتبت الى ولدى نبدر وهو كما تعلمين يحرر فى الصحف الان ، كتبت اليه أسأله أن يستنشق أنباء الموسيقى ويقف على أخباره وسيرته وطباعه فرد على بعد يومين رداً ملا قلبى حزنا وخوفا عرف أن رونالد شاب متكبر مغرور محب للمال والشهرة ، وانه يطمع فى أن يتزوج من أية امرأة ذات مال ، وانه نصب شراكه أخيرا أمام راقصة فرنسوية غنية أسمها فيوليت غير أن المرأة كشفت حيلتـه وأفهمته أنها عرفت أنه لايحب إلا مالهـا ، وقد سمع أخيرا يتحدث عنك فى أحد المشارب ويصفك بالبلاهة والغباء ويفخر بانه يتزوج منك وإن كان لايحبك ، وبانه سيهجرك بعـد أن يتحصل على ثروتك ، فاستحلفك يابنيتى بكل عزيز لديك أن تفرمى حبال ذلك الشاب المحتال لأن الزواج منه وبيل العاقبة ووخيم المغبة ،وسيسلو قلبك يوما ، والحب مهما عظم لايقتل وان خيل الينا غير ذلك ..

وفى هـذا اليوم بعثت بيرنى برسالتين الاولى للعجوز استامبورت ولم تكتب فيها سوى . أشكر لك نصيحتك وقد عملت بها ، والاخرى للغادر رونالد استارلنج ولم تقل الا ، عرفت غدرك وختلك فلا تحاول ون ترانى مرة أخرى

واحتملت الفتاة الصدمة ابقاب جليد وعزم شديد ولم يحاول رونالد أن يراها مرة أخرى ومر اسبوعان هى تعانى من الألم والندم والسدم والابد لمثلها من أن تعابى مثله ، وأخيرا استطاعت أن تبتسم ولكن أى ابتسامات وأن تأكل ولكن لاأزيد من لقيمات وأن تتكلم ولكن كلاما تتخلله الزفرات

وعرف أصدقاؤها أنها طردت رونالد من بيتها وأنها ترغب فى العزلة فلم يجرأ أحد على زيارتها إلا السير باتريك راشندن والمستر روبرت باسيلدون

وحدث أن زارها الأخير ذات أصيل فرآها واقفة أمام صندوق قد ملىء مجلدات عتيقة والسرور يشع من عينيها فحياها ثم انحنى وسألها . — ماهذه الاسفار العتيقة — إنها هدية روجر كيرتيون لى ، انتخب الكتب التى أحبها والتى درستها مع جده العظيم وبعث بها الى ، ماأكرمه وأطيب قلبه ، وان فرحى لشديد وقد جئت ياعزيزى فى الوقت المناسب ، كيف أرتبها وأين أضعها ؟

وكانت تتكلم بغبطة وحماس ، والتقط روبرت كتابا ونظر فيه وعادت الفتاة تقول . أين كنت ، لم أرك من عهد طويل ؟ — كنت فى الريف قال ذلك ووضع الكتاب فى الصندوق ثم سألها قائلا .

— أمريضة أنت فاحمر وجهها وقالت . نعم كنت مريضة ولم تقل أن هواها العاثر هو الذى أذبل جفونها وصفر وجهها ، وتأملها مليا وقال مقترحا . لماذا لاتذهبى الى الريف ؟ فتنهدت وأجابت بقولها .

— لاأريد أن أغادر لندن ، وأنا سعيدة فى غرفى هذه ثم ضحكت وقالت. أين أضع هذه المجلدات ، انظر ! وقدمت اليه بطاقة عليها اسم روجر كيريتون ثم قالت . — اقرأ !

فتناول البطاقة وقرأ ما كتب تحت الاسم :

« سيدتي الآنسة بيرناردين ليرنجتون »

« أبعث اليك بخمسة عشر كتابا كنت تحبينها وتودين أن تقتني مثلها فتكرمي بقبولها لتذكرك باستاذك الذي درسها معك ، أما بقية المكتبة فقد نقلتها الى مكان عام بالقرية ليتخلف اليها الراغبون فى الاستفادة منها »

« روجر كيريتون »

وقالت بيرني . — سأكتب اليه لاشكره ، وما كنت أتصور أن روجر يفكر فى يوما ، ولعل الشاب أفضل مما كنت أظن : وجل من لايخطىء ، وعلى ذكر سوء التقدير والخطأ أخبرك بأن الليدى ليرنجتون انتهى بها المطاف الى الاقتران بشاب لايملك إلا وجها جميلا ويقال أنه كان يبيع الحلوى والمرطبات فى احدى دور السينما ، وبلغني أنها سافرت بصحبته الى جنوبى ايطاليا حيث استأجرت فيلا صغيرة

— ومن أخبرك بذلك — المسجلون الذين يشرفون على شؤونى المالية

— هذا نبأ محزن الا أن لدى نبأ سارا — وماهو — تزوجت ميتى ميراند من الشاب الفنان فريدي وسافرا معا الى أمريكا وعرفت أنهما سيعملان فى احدى « صالات » الغناء هناك . فأشرق وجهها سرورا وقالت . — وافرحتاه ، ولكن ميتى لاتحب فريدى

— لقد أحبته أخيرا ويقال أنها أمست لاتطيق برهة واحدة ثم تنهد وقال وهو يحدق بوجه الفتاة .

— وأنت متى يوم زواجك ؟ — لن أتزوج ياباسيلدون طيلة عمرى .

فبدا الحزن فى عينيه وقال . — قد تغيرين رأيك هذا فى بعض الأيام — ربما ، ربما ياصديقى العزيز فأطرق ولم يجب وقالت . — أين أضع هذه الكتب النفيسة ؟ فرفع رأسه وقال . حقا لاأدرى

— سأضعها فى غرفة النوم ثم نادت خادمتها فلما أقبلت أمرتها بنقل الصندوق الى مخدعها ثم انثنت الى باسيلدون وقالت . — اذهب معها الى مخدعى وضع الكتب على المائدة التى هناك فارتسمت الحيرة على وجهه وقال . — اعفيني من الدخول الى مخدعك ثم التقط قبعته وكانت على مقعد وقال .

— سأرسل اليك غدا رفوفا بديعة للكتب ! طاب مساؤك !

قال ذلك وخلف قاعة الاستقبال مطرقا ، وارتمت بيرنى على أريكة وغمغمت تقول . وارحتاه للمسكين انه يحبنى ولكن لاأحبه الا حب الصديق لصديقه

الفصل الثانى عشر

وبعد نصف ساعة دخل السير باتريك راشندن فرأى بيرنى جالسة الى الموقدة وعلى وجهها أمارات الهم والشجن . وكانت مستغرقة فى التفكير ولا ريب اذ لم تسمع وقع خطاه .

وسعل الشاب وقال . مالى أرى صديقتى بيرنى تحدق بالنار كما يحدق بها المجوسى فانتبهت والتفتت اليه ثم مدت اليه يدها وقالت ! مرحبا بك ياباتريك . اجلس ! فخلع الشاب معطفه وقبعته ووضعهما على مقعد ثم جلس قبالتها وقال . ثم ماذا بعد هذا السجن الأختيارى . أما ان لك أن تشرفى فى الهيئة الاجتماعية كسابق عهدك ؟ فتنهدت وقالت . أن العزلة طابت لى . ماوراءك من أخبار ؟ وتزوجت ميتى من فريدى . هذا نبأ قديم . فضحك وقال . أراك فى اعتكاف ولكنك على اتصال بما يجرى فى الخارج . فابتسمت وقالت . وهل سافر العروسان . نعم . سيقضيان شهر العسل فى البحر وأمريكا ؟ فلم يجب وقال بعد برهة .

أنت تعرفين يابيرنى أنى أحبك فما :   فقاطعته بقولها :   والله ياتريك انى أرثى لك :

ولماذا؟   لأنك تطمع فيما لا سبيل الله   أتكرهينني الى هذا الحد .

انى لا أكرهك بل اودك   ومتى ينقلب ودك حبا   فضحكت وقالت .

أن ودى ثابت ابدا وسأكون صديقتك المخلصة ما حييت :   ويلى من هذا الود

وارسل الحديث الى اتجاه آخر وبعد نصف ساعة انصرف وعادت الفتاة الى التفكير

ثم ماذا : وما بعد هذه العزلة : لقد هجرت اصدقاءها وقضت على آمال باسيلدون وبازيك. وهذه الليدى ليرمجتون قد تزوجت ورحلت الى ايطاليا : وميتى سافرت بصحبة زوجها الى امريكا . فماذا تصنع بنفسها هل تقيم فى شقتها وليس معها سوى الخادمتين .   وتنهدت وقالت : لم تعد لندن هى لندن التى عرفتها . فقد خلت ربوعها من الأنس . واقفرت ملاعبها من البشر . لا . ان لندن ما تغيرت وانما انا التى تغيرت .   آه يادونالد انت الذى تغيرت لجرى كل ذلك !   وفى صباح اليوم التالى كتبت رسالة الى روبرت باسيلدون قالت فيها :   تسلمت قبل ان اجلس الى مائدة الكتابة الرذوف البديعة فالف شكر لك . اتعلم علام اعتزمت . لقد ازمعت السفر . وبعد ان اتناول وجبة الظهر سأركب الى مدام استامبورت حيث سأقضى اسبوعا فى ضيافتها ثم سأتجول شهرا فى انحاء انجلترا واسكتلندا ولا اكتمك انى لم ار للآن شيئا من معالم الوطن العزيز .   سأكتب اليك دائما .وسأنبئك بموعد رجوعى الى لندن ان فكرت فى العود اليها .   وقالت العجوز استامبى وهى تضم ربيبتها الى صدرها

— هل سلوت يابيرنى . تكلمى لأطمئن .   فابتسمت الفتاة ابتسامة شاحبة واجابت قائلة

— نعم يااستامبى ولولا نصيحتك . التى وردت فى وقتها لقوض ذلك الشاب صرح حياتى

فاضاء وجه العجوز سرورا وقالت .   ان لهجتك هذه لتدل على ان الجرح قد اندمل

— نعم وسانسى على مر الأيام انى قلبي اصيب بجرح   اتعرفين ماذا دهاه .

— دهاه من الموسيقى الخبيث دونالد ؟   فتغير وجه الفتاة واجابت بقولها

— كلا   أنه يرسف الآن فى الأغلال   فابيض وجه بيرنى وقالت .   ماذا هل سجن ولماذا

— نعم سجن ـ والحبس مصير كل مجرم محتال   لم افهم

بعد ان بترت علاقتك به كر راجعا الى باريس . وحاول جهده ان يغذو قلب الراقصة الفرنسوية الغنية غير انه فشل اذ صارحته القول بانها لن تتزوج منه وانها لا تضمر له الا الصداقة . وحدث ذات صباح ان ذهب الى غرفتها ليتوسل اليها مرة اخرى فقيل له انها غير موجودة وستعود .

بعد ربع ساعة فقال للخادم انه سينتظر فى قاعة الاستقبال فسمح له ، ورأى بابا عليه ستار ففتحه فاذا هو ف مخدع الغانية الفرنسوية واذا حليها الثمين منثور على مائدة الزينة فزين له الشيطان السرقة ، وبعد دقائق كان يسير فى الشارع والحلى فى جيوب معطفه ، ورآه احد رجال البوليس يسير فى حيرة واضطراب ويكثر من الالتفات يمنة ويسرة فاستراب به واستاقه إلى مركز البوليس ولما فتشوه عثروا على الحلى المسروقه ، هذا مجمل قصته ، أما ان اردت معرفة القصة كاملة فاقرأى هذه الصحيفة التى بعث بها ولدى الى

قالت ذلك وتناولت صحيفة انجليزية كانت على المائدة ثم اشارت الى عامود قد وضع حوله اطار بالقلم احمر فقرأت بيرنى النبأ المحزن المخزى ثم قالت :   — الحمد لله ، لقد نجوت من شره ، والآن اسأل الله ان يشمل المسكين بعطفه ويلهمه الصبر

ثم قالت فجأة :   وما اخبار الابراشية ؟

فاندفعت مدام استامي تسرد أخبار القرية والفتاة تصغي وتفكر ، في نفس الوقت ، في الرجل الذي احمته يوما والذي هو الآن في ظلمات السجون

وأخيرا قالت الفتاة : وما أخبار روجر كيرتيون ؟

— كل ما اعرفه انه هجر القرية بعد ان ترك لها كتب جده والبيت الذي كانوا يقيمون به

— وهل تنازل عن البيت ؟ — نعم تركه للابراشية ، وقد اعتزم المحترم ويلس ان يرممه ويصلحه ثم ينقل اليه المدرسة وسيطلق عليها اسم سيمون كيرتيون

— وأنه ارسلت الى الابراشية منذ اسبوعين « شيكا » بألف جنيه لينفقها الراعي الصالح في اعمال البر والاحسان — عرفت ذلك من مدام ويلس والكل يشكرك ، وأنت علام اعتزمت ؟

فهزت الفتاة كتفيها وقالت : — سأضرب في انحاء انجلترا واسكتلندا ثم اعود ..

فقالت مقاطعة : — الى لندن ؟ — لا أدري

وقضت بيرني اسبوعا في القرية زارت في غضونه الابراشية ودار سيمون كيرتيون ، ودار الكتب الجديدة ودعاها القسيس المحترم الى تناول العشاء في الابراشية قبل ان تسافر بليله واحدة ، وجرى الحديث حول القرية وساكنيها وفجأة قالت بيرني : — نسيت أن اقول يامدام ويلس ان المستر روجر كيرتيون اهداني خمسة عشر سفرا من اسفار جده فقالت زوجة الراعي الصالح

— ياله من شاب كريم ، ان الشقاء الذي نزل به اخيرا قد عطف كل القلوب نحوه ، ولن تنسى القرية النواد والكتب التي خلفها لها مع انه في حاجة الى المال

فقال الراعي : — ان ماصنعه روجر يدل على نبل وعظمة في النفس

فقالت بيرني . — ان روجر عظيم دائما ولا انكر عليه سوى خشونته

فقالت مدام ويلس : — اننا نخطىء دائما في حكمنا على الناس

فسعل المحترم ويلس وقال : — صدقت ياعزيزتي

وساد الصمت برهة ثم قالت بيرني : — كم اود أن اقابل روجر لاشكر له هديته

ثم رفعت طرفها الى الراعي وقالت : — ان التقيت يوما بروجر فلاتنسي ياسيدي ان تعرب له عن شكري وتقديري لهديته الثمينة

وقال القس وهو يصافح الفتاة أمام باب الابراشية :

— هل ستسافرين غدا — نعم يا ابي

— كتب الله السلامة لك وحرصك حيثما ذهبت ثم ربت على كتفيها وقال :

— اكتبي الينا دائما يا بيرني ، وصفي لنا المشاهد التي سترينها ، اذهبي في حفظ الله

ثم انحنى ولثم جبينها وظل واقفا بالباب حتى اختفت في الظلام

وصعدت بيرني الى اسكتلندا ثم انحدرت الى انجلترا وكانت كلما دخلت مدينة تزور المتاحف ودور الكتب والكنائس والاعلام الاثرية ، وحدث ذات يوم وكانت تسير في احد شوارع كنتربري أن التقت بمدام كيرتيون أم روجر وكانت لم ترها منذ غادرت القرية الى لندن ، وصاحت السيدة بقولها .

— آه ، من أرى ، ابنتنا بيرني ، وهنا في مدينة كنتربري ، أتعلمين اني لم احظ برؤيتك منذ عام ؟

وكانت بيرني لا تميل الى السيدة غير انها سرت لرؤيتها وقالت بعد ان صافحتها :

— كيف انت يا مدام كيرتيون . فضحكت السيدة وقالت — هل نسيت اني ادعى الآن مدام مارسيدون

— آه ، نعم !

وسادت فترة صمت قطعتها بيرنى اخيراً بقولها ـ وماذا تصنعين هنا ؟

ـــ جئت مع زوجى المستر مارسيدون لمشاهدة كتدرائية كنتربرى

ـــ انى شاهدتها امس ـ أما نحن فسنراها غداً ، ولكن هل ستتكلم على قارعة الطريق ، أن بى ظمأ شديداً للشاى فلندخل ذلك المشرب ـ تعالى!

وقالت مدام مارسيدون وهى تذيب السكر فى قدح الفتاة ! ـ كنت افكر فيك قبل أن التقى بك ، أى وربى ؛ فابتسمت بيرنى وقالت . أشكرك

الفصل الثالث عشر

وارتشفت مدام مارسيدون رشفة من قدح الشاى وقالت ـ هل استطيع ان اعتمد عليك يا عزيزتى بيرنى انى فى مسيس الحاجة إلى معونتك . فنظرت اليها الفتاة بدهش وقالت ـ وماذا استطيع ان اقدم اليك من خدمات ؟ ـ ان ولدى روجر جار على وظلمنى ظلماً فاحشاً وتناسى انى أمه ـ هل زرت القرية اخيراً ؟

ـــ نعم وزرت ضيعة كايب ـ اذن سمعت ولا ريب بهبات روجر ـ نعم ترك الدار والكتب لاهل القرية ـ ولكنه لا يملك كل الدار لان زوجى الاول ، تغمده الله برحمته ، ابتاع من ابيه سيمون نصفها الير انى ترفى فى تسجيل العقد ولكن عدم التسجيل لا يمنع انه كان يملك النصف ، ولما توفي زوجى اوليفر غرثناه نحن الثلاثة ، الشيخ سيمون وأنا وولدى روجر ومعنى ذلك انى املك ولو بضعة أسهم فى الدار التى وهبها روجر للقرية ، والذى اريده منك يا عزيزتى أن تقابلى ولدى وتذكيره بانه يجب ان يرسل الى ثمن الاسهم تى امتلكها ، وانت الوحيدة التى يمكنك ان تؤثرى فى ولدى وتجعليه يبعث الى بنصيبى

ـــ ان ما يخصك يا مدام مارسيدون من ربع البيت قليل جداً وانت بحمد الله غنية كما اعلم فلماذا . . .

فقالت السيدة مقاطعة ـ اتريدين ان اترك حقى ، لا ، يجب ان ينال كل وارث نصيبه !

ـــ ولكن روجر ما انتفع بالبيت ـ ليس هذا شأنى ؛ بربك يا بيرنى ساعدينى ، ان روجر لا يعصى لك أمرا

فابتسمت بيرنى ابتسامة شاحبة وقالت ـــ انى لا تعرفين ما بينى وبين روجر ، ان كلامنا لا يميل إلى الاخر ثم هو ناقم على منذ غادرت القرية إلى لندن ـ فضحكت مدام مارسيدون وقالت بدهش

ـ المثلى يقال هذا الكلام ، انى أم روجر واعرف كل شىء عنه ، ان كنت تجهلين يا بيرنى الحقيقة فاعلمى ان روجر يحبك الى حد العبادة ولا يستنكف من أن يلثم الارض التى تسيرين فوقها ، ولقد رأيته مرة يقطع منديلا لك ، كنت نسيته فى دارنا عقب إحدى زياراتك لنا . اقول انى رأيته يقطع منديلك لثما وتقبيلا ويبكى بكاء يقطع نياط القلوب . نعم رأيته يفعل ذلك دون ان يرانى . ولما استبد به الوجد والهيام اشفقت عليه وسألته ذات يوم عن سبب شجونه وكأنى لا اعرفه فقال انه يهوى فتاة غنية من أسرة كبيرة ثم اجهش وقال . ومثله لا يمكنه ان يتزوج من مثلها ومعنى ذلك انى سأعيش طول حياتى فى شقاء ـ وانا اعقل ان اطلعها على سرى ائلا تتهمنى بالجنون » هذا ما سمعته منه ، وقد لاحظته بعد ذلك فرأيته يعبس ان رنوت وينظر اليك بشوق ولهفة فى خلسة منك فادركت انه يخشى ان تنم نظراته عما فى قلبه فلا يكون نصيبه منك الا السخرية والتهكم ، وفى اعتقادى ان المسكين سيموت بدائه ، وما تطلب الا شرح غرامه بك وإنما لافهمك انه لا يعصى لك امرا فان ذهبت اليه وعرضت شكاتى فانه يوليها عنايته ويبادر بارسال ثمن ما ورثته فى البيت عن زوجى الاول

وكانت تتكلم وبيرنى تلتفض ، هالها ذلك النبأ الغريب ؛ من يصدق ان روجر القاسى الخشن يحبها منذ سنوات وانه يخفى هواه طيلة ذلك الزمن

واسترجعت مدام مارسيدون تقول . ـ لما كذبك ولم اقل الا الحقيقة وسيان عندي نجاح روجر او فشله في الغرام ، وان اردت سماع ما يؤيد قولي فاعلمي انه ما وهب القرية كتب جده الا بعد ان بلغه انك تفكرين في شراء المكتبة لهذا الغرض

فغمغمت بيرني تقول — نعم كنت أريد شراء الكتب وتركها للقرية

— دعينا من غرام روجر وكتبه (وهل ستساعدينني ؟ فاحنت الفتاة رأسها وقالت . ولكنني لا اعرف مستقره ـ انه في لندن ويقيم بفندق النسر الاحمر بحي بلومسبري . اسألك بحق الصداقة التي كانت بينك وبين المرحوم سيمون كيرتيون ان تقدمي الى هذه الخدمة الصغيرة

ثم نهضت واقفة وقالت . اتفقنا ، اشكرك ، آه ، نسيت ان اقول ان روجر سيركب البحر بعد اسبوع ولذلك يجب ان تقابليه في وقت قريب جدا ، ومتى سترجعين الى لندن ؟ ـ غدا ـ جندا لو غدا أو بعد غ

ورجعت بيرني الى لندن بقلب مثقل بالهموم ، وكانت لا تفكر الا في الرجل الذي أحبها الى حد العبادة وبذ جهده في اخفاء هواه عنها ، وقالت لنفسها بعد ان احتواها مخدعها هل اقابل روجر : ان المسكين سيساف بعد اسبوع وسيحمل همه معه وقلبه الجريح . الا ان هذا هو الحب الصادق الشريف

وشرعت الدموع تسيح على اخديها فاهتزت وقالت . ويحي ! لماذا ابكي ؟ وذكرت الحديث الذي جر بينها وبين روجر على درج البيت العتيق بضيعة كليب فادركت انه ما غضب في ذلك اليوم لذكرى جده فق بل لفؤاده المعذب انه يقيم الآن بفندق النسر الاحمر بحي بلومسبري فهل تذهب لتراه، ولكن لماذا تسأله ان يرد على امه حقها ثم تشكر له هديته وتنصرف وفكرت طويلا وفجأة وثبت قائمة ونزلت الشارع واستوقفت سيارة تاكس كانت مارة بالباب وسألت السائق ان يمضي بها الى فندق النسر الاحمر ب بلومستري وجلست في ركن السيارة مغمضة العينين وكانت افكارها تسبق السيارة الى الفندق

وسألت حارث الباب بقولها . ـ هل المستر روجر كيرتيون في غرفته ؟ ـ نعم ياسيدتي ـ وما رقم الغرفة رقم ٤ في الطابق الثاني فسارت الى المصعد ، وخلفته في الطابق الثاني ، واسرعت نحوها خادم عج وقالت . ـ ماذا تريد سيدتي الصغيرة ؟ ـ اريد ان ارى المستر روجر كيرتيون ـ انه مشغول الآن ب امتعته ـ سأنتظره ، واين غرفة الانتظار؟فسارت العجوز بين يديها الى غرفة صغيرة وقالت . استريحي وما اسمك ياسيدتي ـ الآنسة بيرناردين ليرنجتون

قالت ذلك وسارت الى النافذ والصقت جبينها بالزجاج وما هي الا برهة حتى سمعت وقع خطوات خ فالتفتت فرأت روجر كيرتيون وكان حليق الذقن مصقول الشعر وعليه حلة سوداء ثمينة وجعلت الفتاة الية يدهش وكان واقفا في وسط الغرفة يحد اليها بصره وكانت بيرني لم تره قط في ثوب ثمين فقد الف تراه في القرية في ثياب رخيصة . وكان شعره مشوشا ابدا ! أما الآن فهو مصقول ويلمع

وتداركت دقات قلبها ودارت في اذنيها بعض أقوال مدام مارسيدون . « . . . ان روجر يحبك ا العباد ، ولا يستنكف من ان يلثم الأرض التي تسيرين فوقها . . . »

« . . . ولقد رأيته مرة يقطع منديلا لك ، كنت نسيته في دارنا عقب احدى زيارتك لنا . اقو رأيته يقطع منديلك لثما وتقبيلا ويبكي بكاء يقطع نياط القلوب . نعم رأيته يفعل ذلك دون ان يراني

« . . . قال انه يهوى فتاة غنية من اسرة كبيرة ثم اجهش وقال : ومثلي لا يمكنه ان يتزوج من

معنى ذلك انى سأعيش طول حياتى فى شقاء. وانا أعقل من اطلعها على سرى لئلا تتهمنى بالجنون» واخيرا
كلم روجر فقال -- نعم ياسيدتى
فارتعدت شفتا الفتاة ونكست برأست. وعاد روجر يقول: - لماذا جئت يامس ليرنجتون فرفعت رأسها
رفت من وجه الشاب انه يجاهد عواطف متباينة وتكلمت وقالت. ان مدام... مـدام... ان
سيدة والدتك هى التى اعطتنى عنوانك
— لقد نفضت يد من كل الذين عرفتهم. وسأسافر فى الاسبوع القادم الى كندا حيث سأعمل مع
ديق لى هناك فى الارض. وانب لماذا جئت -جئت لاشكرك هديتك الثمينة جدا
— لا دعى للشكر ويسرنى انك فرحت بالكتب. ولا يفوتنى الآن ان اعتـذر عما بدر منى يوم زرت
ة كليب عقب وفاة جدى وأرسل بصره فى جوانب الغرفة وقال.
— ان الغرفة عادية وبارده فمعذوره! - انها بديعة جدا. روجر اريد ان أفضى اليك بحديث
ملها وقال. أى حديث؟
— ان بباب الغرفة سيارة التاكس التى اقلتنى الى هنا فان شئت نركب الى هيد بارك حيث نتكلم ففكر
هة ثم قال. -كما تريدين وخرج وما لبث ان عاد وفى يده قبعتـه وعلى ذراعه معطفـه
جلسا صامتين فى المركبة ثم قالت.
-- رجعت امس من سياحة بديعه فى اسكتلندا وانجلترا ثم قالت كنت بمفردى
فنظر اليها روجر طويلا ثم قال. — ولماذا كنت بمفردك فتنهدت وقالت. لانى زهدت الناس ومللت
ن فاطرق ولم يتكلم وسار الى جانبها صامتا فى حدائق هيد بارك ثم قال. — نجلس هناك!
وأشار الى شجرة باسقة، وقالت بعد أن جلسا. ان مدام.. ان السيدة والدتك تريد نصيبها من بيت
يمة فضحك وقال. وأين التقيت بها؟ فى كنتر برى قبل عودتى الى لندن — وجئنا الى هنا لاسمع هذا
ب؟ فابتسمت وقالت. — نعم — ان البيت صار من أملاك الابراشية
— وأشعل سيجارة وطفق يتحدث عن جده وأدوار الخلاف التى كانت بينه وبين أمه وشعرت الفتاة وهى
ر فى وجهه وتصغى الى حديثه بميل شديد اليه، وتصورت نفسها بين يدى رجل آخر لم تعرفه من قبل ولاول
عرفت أن روجر جميل الصورة جدا، وأنه لطيف ظريف وكان ينكس برأسه كلما رآها تتأمل وجهه ونظر
ساعته وقال. يجب أن أعود الى الفندق لافرغ من حزم حقائبى الا أنى سأشيعك حتى باب مسكنك
ولما استقلا السيارة سألها بقوله. — أين تسكنين؟. فذكرت عنوان الشقة، وطفقا يتجاذبان أطراف
يث. ونزلت أمام باب البيت فنزل فى أثرها ثم صافحها وقال. — سأراسلك باذن الله، من كندا
قال ذلك وانثنى نحو السيارة فقالت. -- هلا صعدت معى يجب أن ترى غرفى، والمكان الذى وضعـ
الكتب فصمت برهة ثم قال. كما تريدين. وفتحت باب الشقة بمفتاح صغير كان معها ثم دفعت الباب ودخلـ
فى أثرها، وأرته غرف الشقة ثم جلسا فى قاعة الاستقبال وقالت. وهاتين الخادمتين اللتين رأيتهما كل
قانى..
فابتسم فقالت. - مارأيك فى الشقة؟ - بديعة جدا
— ولكنى لم أريك بعد كتبك، تعال!
وسارت به الى مخدعها وقالت - انظر، انها فوق رفوف بديعة

ولكنه لم ينظر الى الزخرف بل الى آلات الزينة والسرير الثمين وصورة جده المعلقة على الجدار ثم قال

— ان الغرفة تدل على ثراء وذوق حسن — فتنهدت وقالت

— أتعرف انى اكره المال — تكرهين المال ؟ — نعم وهو سبب بلائى

— وماذا أصابك منه ؟ — هو الذى كشف عن عينى عماها فعرفت أن الناس يشبهون الذئاب الجائعة ، وفى هذا العرفان ما يحزن النفوس

— ولكن سمعت انك تحبين لندن وانك سعيدة فيها

— أحببتها وسعدت قبل أن أعرف طباع الناس — وهل أنت حزينة الآن

— كلا ، وقد أنستنى السياحة أشياء كثيرة

— ولكنك ما نسيت جدى — وأشار الى الصورة

فقالت بسرعة — وكيف أنسى صديقى وأستاذى

قالت ذلك واغرورقت عيناها بالدموع فتأثر الشاب واقترب منها خطوه وقال

— رحمه الله كان يحبك حبا عظيما فاجهشت وقالت

دوجر ، روجر ، انى امقت لندن والمال والترف . فنظر اليها بدهش وعجب من انفعالها ، وقالت و
تكفكف دمعها . — وضقت ذرعا بالوحدة ياروجر ، واتمنى أن اعيش فى هدوء وصفو بين اصد

— ان أصدقاءك كثيرون ولاريب — ليس لى سوى صديقين ولكنهما يزعجانى أ
بحديثهما عن الزواج وما يمنعك عن الاقتران باحدهما ؟

إنما تتزوج المرأة من الرجل الذى تحبه . فضحك وقال . وماذا تعرفين أيتها الطفلة عن الحب .قال ذ
وعبس وسار الى الباب وقال . آه أين تركت قبعتى ومعطفى — انهما فى قاعة الاستقبال ولكن لن تخرج
بعد أن تتعشى معى ورأت أو ظنت أنها رأت بريقا عجيبا يشرق فى عينيه ثم سمعته يقول . ان كنت تري
حقا أن آكل معك فانى أقبل

— أشكرك ويسرنى جدا أن أواكلك ياروجر ، كما كنت أواكلك فى ضيعة كليب . وجلس فى قاعة الاست
وقال . وآها لتلك الايام ، ما كان أسعدنى بها ! فاقتربت منه وقالت . ولكنك ستترك انجلترا كلها
سأتركها غير نادم . وهل تحب كثيرا ؟ . كلا سأكون هناك فريدا وحيدا

قال ذلك ووقف وسار الى النافذة فسارت فى أثره وكانت تنتفض ، عرفت فجأة أنها أحبت الشاب
حدثتها أمه من هواه الدفين . وقالت — ولكنى أحب القديمة وصور الماضى فالتفت اليها وحدق بو
وقالت . وانت قطعة من ماضى ياروجر فعبس وقال . ماذا تعنين

فالقيت عليه سؤالا بدل ان ترد على سؤاله قالت — خذنى معك الى كندا ياروجر، وكن زوجى وص
وحارسى ! فما وسع الشاب الا ان طوق خصرها بذراعه وضمها الى صدره وقال وهو يلثم جبينها وشفتها و
إنى احببتك يابيرنى مذ عرفتك . وانا ما احببتك الا منذ يومين

وتناولا العشاء سويا وسمعت بيرنى التلفون يدق فتناولت السماعة . فاذا المتكلم السيد باتريك
طاب مساؤك يابيرنى ، هل بلغك ان مى ستتزوجنى من فتاة ايرلندية غنية ؟ فضحكت وقالت — وهل
انى سأتزوج من صديقى روجر كيريتون ! فقال روجر قولى له ايضا اننا مسافران بعد اسبوع الى كند

تمت

اعلانات قضائيه

٦٠٧٣ انه فى الاحد ٧ فبراير سنة ١٩٣٧ من الساعة ٨ صباحا بمنشية عباس

سيباع علنا بقرة وجاموسة موضحين بمحضرى الحجز المرقيمين ٦ ابريل سنة ٩٣١ و١٠ نوفمبر سنة ٩٣٤ ملك محمود شرف الدين

كطلب الشيخ عبد الغفار الجندى عمدة الكفر البحرى ومتخذ له محلا مختارا مكتب حلقمرة الاستاذ مرقص بطرس المحامى وذلك تنفيذا الحكم محكمة كفر الشيخ الاهلية ن ٢٢١٣ سنة ٩٣١ وفاء لمبلغ ٤٣٧ قرش صاغ ونصف وما يستجد من المصاريف .

فعلى راغب الشراء الحضور

١٠٨٣ انه فى يوم الاربعاء ٣ فبراير سنة ٩٣١ من الساعة ٨ أفرنكى صباحا ومابعدها بناحية الحمامية مركز دمنهور وان لم يتم البيع ففى يوم الاثنين التالى بعده بحلقة أقطان دمنهور

سيباع بالمزاد العلني محصولات زراعية مبينة بمحضر الحجز

ملك ورثة المرحوم محمد ابراهيم امام من الحمامية هم ابراهيم محمد ابراهيم امام عن نفسه بصفته وصيا على اخوته القصر وهم نبوى ولبيب وليلة اولاد المرحوم محمد ابراهيم امام (٢) حسن محمد ابراهيم امام (٣) سلامة (٤) فريد (٥) امباركه (٦) فريدة (٧) ام ابراهيم أولاد محمد ابراهيم امام ومقيمين بالحمامية مركز دمنهور وذلك بموجب محضر حجز تحفظى متوقع بتاريخ ٢ سبتمبر ١٩٣٦ نفاذا للحكم محكمة دمنهور الاهلية فى القضية المدنية ن ٢٧٧٩ سنة ١٩٣٦ وفاء لمبلغ ١٥٥٧٫٢٠ قرش بخلاف رسم النشر وما يستجد

كطلب الشيخ اسماعيل حسن البرل ناظر وقف المرحومة الست فاطمة ابراهيم نعيم

فعلى راغب الشراء الحضور للمزايدة

٦٠٩١ يوم الثلاثاء ٢ فبراير سنة ١٩٣٧ من الساعة الثامنة افرنكى صباحا ومابعدها بناحية بهيج مركز الحمام تبع القسم الشرقى بالعامرية خط مريوط

سيباع بالمزاد العلنى صندوق خشب وكمك خشب ملك طايل مصطفى من أهالى بهيج ومقيم الآن بشارع المكس رقم ٣٠١ شياخة مصطفى عبد العزيز قسم مينا البصل بالاسكندرية والمحجوز عليها بتاريخ ١٧ اغسطس سنة ١٩٣٦ تحفظيا وتثبت هذا الحجز بالحكم الصادر من محكمة اللبان الجزئيــة الاهلية فى القضية رقم ٩٥ سنة ١٩٣٧ بتاريخ ١٩٣٦/١١/١٨ وفاء لمبلغ ٧ جنيه و٩٢٠ مليم قيمة أصل المحكوم به ورسم الدعوى واجرة النشر وخلاف ما يستجد كطلب يس حسن محمد المقيم بالاسكندرية

فعلى من له رغبة فى الشراء الحضور

٦٠٩٤ فى يوم الاربعاء ٣ فبراير سنة ٩٣٧ من الساعة ٨ صباحا بناحية القصر والأيام التالية

سيباع علنا زراعة ٨ ط قمح بحوض بلمون ملك حسن محمد من القصر سبق توقيع الحجز التنفيـذى عليها بتاريخ ٩٣٥/٤/٢٣ نفاذاً للحكم ن ٨٥ سنة ٩٣٣ نجع حمادى كطلب الصافى محمد يس من القصر وفاء لمبلغ قرش صاغ بخلاف أجرة النشر

فعلى راغب الشراء الحضور

٦١٠٦ فى يوم الاثنين فبراير سنة ١٩٣٧ من الساعة ٨ صباحا ومابعدها بقسم ثالث بور سعيد بالمناخ

سيباع علنا منقولات منزليـة ملك جليلة السيد الغرابلى من بور سعيد المحجوز عليها تنفيذيا بتاريخ ٣٠ ديسمبر سنة ٩٣٦ نفاذا للحكم ن ٣٤٩٦ سنة ٩٣٦ وفاء لمبلغ ١١٠٢ قرش صاغ محكوم به ومصاريف خلاف أجرة هذا النشر كطلب الست سيده أم على من بور سعيد فعلى راغب الشراء الحضور للمزايدة

٦١٢٦ اعلان بيع نمرة ٩ سنة ١٩٣٧م

انه فى يوم الاثنين أول فبراير سنة ٧٣٧ من الساعه ٨ أفرنكى صباحا بجهة كفرة القرشى درب سيدى مانع بطنطا سيباع بالمزاد العمومى عدد ٣٧ منقولات منزلية مبينة بمحضر حجز تحفظى وعدد ١٠ كيلات فول سودانى وعدد ١ سرير حديد اسود ودولاب خشب وعدد ٥ منقولات منزلية مبينة بمحضر حجز ٢٩ ديسمبر سنة ٩٣٦